رسائل العميدي الديوانية
موضوعاتها وبناؤها الفني

إعداد الدكتورة

صباح محسن محمد علي الردادي

أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة طيبة
المدينة المنورة

رسائل العميدي الديوانية موضوعاتها وبناؤها الفني

صباح محسن محمد علي الردادي

قسم الأدب والنقد (الأدب القديم) – كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة طيبة – المملكة العربية السعودية .

البريد الألكتروني :Sradady@taibahu.edu.sa

الملخص:

تتناول هذه الدراسة فنا نثريا عند واحد من أبرز الكتاب في العصر الفاطمي، وهو أبو سعد محمد بن أحمد العميدي(ت٤٣٣هـ) ، وقد جاءت الدراسة بعنوان(رسائل العميدي الديوانية موضوعاتها وبناؤها الفني) ، وتهدف إلى التعريف برسائل العميدي الديوانية، مع بيان قيمتها الأدبية والتاريخية، وبما يكشف عن موضوعاتها ومضامينها وبنائها الفني من مقدمة وعرض وخاتمة حسب التقاليد والرسوم المتعارف عليها عند أرباب صناعة الإنشاء وعلى مستوى الشكل والمضمون ، بما لعله يسهم في تبيان جانب من جوانب الفن الكتابي في مصر إبان العصر الفاطمي.

الكلمات المفتاحية: العميدي– الرسائل الديوانية– الأدب الفاطمي– الأدب العربي، النقد الأدبي– فن الرسائل.

The Messages of Al-Amidi collection of poems, their Topics and their Artistic Construction

Sabah Mohsen Muhammad Ali Al-Radadi
Department of Literature and Criticism (Ancient Literature),
College of Arts and Humanities, Taibah University, Kingdom of Saudi Arabia
Email: Sradady@taibahu.edu.sa

Summary

This study deals with prose art by one of the most prominent writers of the Fatimid era, Abu Saad Muhammad bin Ahmad al-Amidi (d. 433 AH) and the study came under the title (Letters of al-Amidi al-Diwaniyah with their subjects and artistic construction), and aims to introduce On its topics, contents and artistic construction from introduction, presentation and conclusion according to the traditions and drawings recognized by the owners of the construction industry and at the level of form and content, which might contribute to clarifying an aspect of written art in Egypt during the Fatimid era.

Key words: Al-Amidi - Diwaniyah letters - Fatimid literature - Arabic literature, literary criticism - the art of letters.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، وبعد

شهدت مصر في العصر الفاطمي نهضة أدبية مميزة كان لها أكبر الأثر في ازدهار الشعر والكتابة، فقد عني الفاطميون بشعرائهم وكتابهم، بل كانت عنايتهم بالكتاب أشد، وذلك أن اتساع ملكهم، وتشعب نواحي حياتهم وسلطانهم اضطرهم إلى أن يوجهوا جل اهتمامهم إلى الدواوين بما يتناسب مع غلوهم في إظهار مجدهم، فوجدت طوائف من الكتاب الممتازين استخدمهم الفاطميون في دواوينهم.

ومن أبرز تلك الدواوين ديوان الإنشاء، حيث وقع الاهتمام به وبكتابه، لا سيما أن الفاطميين كانوا أصحاب نحلة مختلفة فرأوا أن من الضروري يكون حولهم مجموعة نفيسة من الكتاب؛ ينافحون عن مذهبهم ويدعون إليه، ولقد حظي كتاب الإنشاء بمنزلة رفيعة لا سيما رئيس الديوان الذي يعد "لسان الملك الناطق بحجته وهو حلية المملكة وزينتها"، ويذكر لنا بعض المؤرخين مجموعة كبيرة من الكتاب الذين تولوا ديوان الإنشاء الفاطمي.

ومن أبرز كتاب الإنشاء أبو سعد محمد بن أحمد العميدي(ت ٤٣٣هـ)، الذي تولى ديوان الإنشاء لعصر المستنصر، ولم تقتصر كتابته على الكتابة الديوانية فحسب، بل إنه خلف مجموعة ضخمة من الرسائل، ذات طابعين رسمي وشخصي.

وتشكل رسائل العميدي الديوانية ثروة عظيمة جديرة بالبحث و الدراسة في العديد من الجوانب ، وهي وإن حظيت ببعض الدراسات التاريخية[١] غير أنها لم تدرس حتى الآن وحسب علمي من الناحية الأدبية، ومن ثم جاءت هذه الدراسة التي

(١) الأحمدي، خلود محمد، "الخطاب السياسي للدولة الفاطمية تجاه الزعامات المحلية الشامية المعارضة من خلال رسائل العميدي"، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج٩،ع٣، ٢٠١٦م.

وسمتها ب(رسائل العميدي الديوانية موضوعاتها وبناؤها الفني) للتعرف على رسائله الديوانية بما يكشف عن موضوعاتها ومضامينها وبنائها الفني، وكيفية امتثال العميدي لرسومها المقررة لها على مستوى الشكل والمضمون، بما لعله يسهم في الكشف عن جانب من جوانب النثر الفني في مصر إبان العصر الفاطمي.

وقد انتظمت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث ثم الخاتمة ففهرس المصادر والمراجع، وفق الخطة التالية:

- **المقدمة**
- **التمهيد:** فن الرسائل حتى العصر الفاطمي، وفيه مطلبان:

أ- ديوان الإنشاء الفاطمي وكتابه. ب – التعريف بالرسائل الديوانية.

- **المبحث الأول:** العميدي ورسائله، وفيه مطلبان:

أ- التعريف بالعميدي.

ب- رسائل العميدي الديوانية وقيمتها الأدبية والتاريخية.

- **المبحث الثاني:** موضوعات رسائل العميدي الديوانية، ومضامينها:

١- التهديد والوعيد ٢- الفتح . ٣- الإحماد . ٤- البشارة

- **المبحث الثالث:** البناء الفني للرسالة الديوانية

أ – المقدمة . ب –العرض ج – الخاتمة

- **الخاتمة** ، متضمنة نتائج الدراسة .
- **فهرس المصادر والمراجع** .

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد.

التمهيد

فن الرسائل حتى العصر الفاطمي

لمحة تاريخية

يعد فن الرسائل من أشهر الفنون النثرية التي عرفها العرب في الإسلام، فقد كان النبي ﷺ يكاتب الأمراء والملوك من العرب وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام، وسار على هديه خلفاؤه الراشدون في مكاتباتهم ولاتهم وقادة جيوشهم. ثم تطورت الكتابة في العصر الأموي بفضل إنشاء معاوية بن أبي سفيان لديوان الرسائل الذي تحبر فيه رسائل الخلفاء والولاة. ويرتقى الفن الكتابي في مطلع القرن الثاني الهجري في عهد هشام بن عبد الملك حيث جعل رياسة الديوان لمولاه سالم الذي كان يحسن اليونانية وينقل عنها بعض الرسائل، فأحال الديوان إلى مدرسة كبيرة تكونت فيها طبقة من الكتاب المحترفين رقي بها النثر الفني، وتخرج على يديه غير كاتب ومن أشهرهم عبد الحميد الكاتب الذي قيل في حقه" بدئت الكتابة بعبد الحميد...". [(١)] وتنشط الكتابة في العصر العباسي نشاطا واسعا حيث توفر عليها مئات الكتاب الممتازين نظرا لما تدره عليهم من أرزاق واسعة، بل أضحت الكتابة في هذا العصر الجسر الذي يصل بالشخص إلى أعلى المناصب. ولم يكن الوصول إلى ديوان الإنشاء بالأمر الهين بل على الكاتب أن يأخذ نفسه بثقافة ديوانية واسعة في مختلف العلوم والمعارف حتى يتقن صناعة الكتابة الإتقان المنشود، فيوفر لها الوضوح والجمال الفني[(٢)].

ولم يكن في مصر لعهد الولاة منذ الفتح العربي لها حتى عصر ابن طولون ديوان رسائل، لذا لم تتضح فيها معالم الكتابة الفنية بصورة واضحة[(٣)]، ولما ولي

---

(١) ينظر: ضيف، شوقي، العصر الإسلامي، د.ط، مصر: دار المعارف، د.ت). ص٤٧٤.
(٢) ينظر: ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، ط١٦، (مصر: دار المعارف، د.ت)، ٤٦٥-٤٦٦.
(٣) ينظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط٩،(القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص٣٤٥.

مصر أحمد بن طولون أسس بها دولته الطولونية وامتد سلطانه إلى الشام وعلا شانه فاتخذ لنفسه ديوان رسائل ، واستكتب ابن عبد كان وأمده بكتاب من العراق وضم إليهم كتابا آخرين من كتاب مصر، فبدأت فيها النهضة الكتابية ، ويذهب عصر الطولونيين فيضعف ديوان الإنشاء في عصر الإخشيدين، ولم يكد الفاطميون يستقلون بحكم مصر سنة(٣٥٤هـ) مكونين دولة عظيمة إلا وتزدهر النهضة الأدبية والكتابية بها، حيث أولوا جل اهتمامهم بديوان الإنشاء وكتابه[١].

أ- ديوان الإنشاء الفاطمي وكتابه

يعد ديوان الرسائل من أبرز مظاهر التقدم الحضاري وأكبر دليل على رقي الدول واستقرار الحكم فيها، وعلى الرغم من شهرته بالتسمية السابقة إلا أنه يعرف بتسميات أخرى لعل من أشهرها ديوان الإنشاء، وهي التسمية الغالبة في مصر حتى نهاية العصر الفاطمي[٢] ، وقد يطلق عليه في بعض الأحيان ديوان المكاتبات[٣] .

وكان لديوان الإنشاء الفاطمي في مصر شأن عظيم إذ وقع اهتمام الخلفاء به وبكتابه[٤]، يقول القلقشندي:" ولما ولي الفاطميون الديار المصرية، صرفوا مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء وكتّابه، فارتفع بهم قدره، وشاع في الآفاق ذكره"[٥]. ولا شك أن الفاطميين قد أدركوا قيمة وجود ديوان الإنشاء في تثبيت مملكتهم وتدعيم حكمهم، ونشر مذهبهم الشيعي والدفاع عنه وتمكينه في نفوس الناس، ولذا أولو كتابه عناية

(١) ينظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ص٣٥٦، وضيف، شوقي، عصر الدول والإمارات(مصر)،ط٢، (القاهرة: دار المعارف،د.ت)، ص٤٠٠.

(٢) ينظر: سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، ط١،(بيروت-القاهرة: الدار المصرية اللبنانية،١٤١٣هـ=١٩٩٢م)، ص٢٦٦.

(٣) ينظر: القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٤٧/١. والحباشنة، سمير عبد الوهاب، ديوان الإنشاء الفاطمي بمصر وجهوده الكتابية، رسالة دكتوارة منشورة،جامعة مؤتة،٢٠٠٧م، الأردن عمادة الدراسات العليا، ص٤٢.

(٤) ينظر: ضيف، شوقي، عصر الدول والإمارات(مصر)، مرجع سابق، ص٤٠١.

(٥) ينظر: مصدر سابق، ١٢٤/١.

فائقة، إذ كانوا لا يوظفون فيه إلا أفاضل الكتاب وبلغائهم على ما أشار القلقشندي[١].

ولقد كان لديوان الإنشاء في مصر تنظيم خاص، نجده ماثلا في بعض مصنفات كتابهم، ومنهم ابن الصيرفي (ت٥٤٢هـ) حيث ألف كتابا سماه (القانون في ديوان الرسائل) اهتم فيه بذكر الشروط الواجب توافرها في موظفي الديوان بدءا من رئيسه وانتهاء بذكر معاونيه من الكتاب مع توضيح رتبهم ودرجاتهم وتحديد ما يضطلعون به من أعمال[٢].

وكان يترأس الديوان كاتب من أجل الكتاب بلاغة، ويعرف برئيس الديوان أو متوليه أو صاحبه. وكان لا يخاطب إلا بالشيخ الأجل ولا يلقب إلا بكاتب الدست الشريف، ويفيض القلقشندي في بيان ما يخلع عليه من تشريفات تدل على المكانة الاجتماعية التي يحظى بها في الدولة الفاطمية[٣]. كما تحدث ابن الصيرفي عن الصفات التي يجب أن يتحلى بها رئيس الديوان، ومن أهمها بعد الدين والورع والأمانة والإسلام أن يكون بليغا فصيحا ذا بيان، ولديه من الثقافة الشرعية والعربية والموسوعية ما تجعله في الذروة بحيث لا يوجد في عصره من يفوقه في هذا الفن[٤].

وتكثر في بعض الكتب التاريخية[٥] الإشارة عمن كتبوا في هذا الديوان، فهناك نص طويل تتناقله بعض الكتب يصف تسلسل رؤساء الكتاب في ديوان الإنشاء الفاطمي، ومنه قول القلقشندي:" ولما ولي الفاطميون الديار المصرية، صرفوا مزيد

---

(١) ينظر: مصدر سابق، ١٢٤/١.

(٢) ينظر: ابن الصيرفي،علي بن منجب، القانون في ديوان الرسائل، تح:أيمن فؤاد سيد، ط١،(بيروت-القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م)، ص١٥ وما بعدها.

(٣) ينظر: مصدر سابق، ١٣٦/١.

(٤) ينظر: القانون في ديوان الرسائل، مصدر سابق، ص١٥ وما بعدها.

(٥) ينظر: يوسف بن تغري بردي ، أبو المحاسن، جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د.ط،(مصر: دار الكتب، د.ت)، ٣٣٧/٧، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تح/محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١،(مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م) ٢٣٣/٢.

عنايتهم لديوان الإنشاء وكتّابه، فارتفع بهم قدره، وشاع في الآفاق ذكره، وولي ديوان الإنشاء عنهم جماعة من أفاضل الكتّاب وبلغائهم: ما بين مسلم وذميّ، فكتب للعزيز بالله ابن المعز أبو المنصور بن سوردين النصرانيّ، ثم كتب بعده لابنه الحاكم ومات في أيامه، فكتب للحاكم القاضي أبو الطاهر البهزكيّ، ثم كتب بعده لابنه الظاهر، وكتب للمستنصر القاضي وليّ الدين بن خيران، ثم وليّ الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله إلى الوزارة، وأبو سعيد العميديّ..." [١].

ولهذا النص دلالته على عناية الفاطميين بديوان الإنشاء حيث إنهم لم يفرقوا بين مسلم وذمي في وظائف الديوان وهذا ولا شك يدل على أنهم كانوا يطلبون في هذا الديوان من تفوق في تحبير الكلام وصوغه دون النظر إلى ملته ومذهبه[٢]. ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن ما يورده القلقشندي لا يمثل كل رؤساء الديوان فضلا عن إحاطته بجميع كتابه؛ ذلك أننا نجد إشارات متفرقة في بعض المصادر إلى من تولوا الديوان أو كانوا من كتابه[٣]، ولعل في كثرة هؤلاء الكتاب والإشادة بهم ما يدل على ازدهار النهضة الفنية للنثر الفاطمي عامة ولكتابة الرسائل الديوانية على وجه الخصوص[٤] الأمر الذي دعا أحد الباحثين إلى القول بأن كتابة الرسائل " بلغت في العصر الفاطمي مبلغا عظيما من الرقي والاكتمال"[٥].

ب – **التعريف بالرسائل الديوانية**

(١) مصدر سابق، ١٣٠/١.
(٢) ينظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ص٣٥٧.
(٣) ينظر: المقريزي، أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: محمد حلمي، (د.م: د.ن، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م)، ٣٣٣/٢، ١٢٨، ١٣، ١٢، ١٨٥/٣، ٨١، ٦١، والنعيمات، محمد موسى، " ديوان الإنشاء وأهميته في الكتابة في مصر في العصر الفاطمي" مجلة التربية، جامعة الأزهر، مج٤، ع١٦٤، ٢٠١٥م، ص ٤٧٢.
(٤) ينظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ص٣٥٩-٣٦٠، وحسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية ، ط١، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م)، ص٣٢٨.
(٥) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مرجع سابق، ص٣٥٩.

تنقسم الرسائل الفنية في التراث الأدبي إلى ثلاثة أنواع: الرسائل الديوانية والإخوانية[١] والأدبية[٢].

أما الرسائل الديوانية ويطلق عليها تسميات أخرى، حيث تعرف بالسلطانية أو الإنشائية أو الرسمية أو السياسية، غير أن البحث يؤثر تسميتها بالديوانية لشهرة هذه التسمية فضلا عن نسبتها لمكان صدورها. ويعرفها شوقي ضيف بأنها "التي يدبجها كتاب ديوان الرسائل على ألسنة الخلفاء والولاه"[٣]، ويذكر في موضع آخر موضوعاتها، فيقول:" هي التي تتناول تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاة وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود والفتوح..." [٤]، ومنهم من يجعل الرسالة الديوانية نوعا من الكتابة السلطانية، فيعرف الكتابة السلطانية بأنها " التي تتناول شئون الدولة وأمور السلطان في الداخل والخارج، فتشمل بيعات الخلفاء، وتقاليد الملوك وولاة العهود ، ومراسيم إسناد الوزارة... وغير ذلك من شئون إدارة الدولة...وكتب المعاهدات والرسائل الديوانية"[٥]، ولا غضاضة في ذلك فالرسائل الديوانية تعد من أشهر المكاتبات السلطانية الصادرة عن ديوان الرسائل، وكل ما هنالك أن الرسائل تختلف عن المكاتبات الأخرى في أنها تكون من مرسل إلى مرسل إليه وقد تقتضي الإجابة أو لعلها تكون إجابة عن رسالة أخرى[٦].

(١) هي التي تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم من رغبة ورهبة ومديح وهجاء وعتاب واستعطاف وغيرها . ينظر: ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٤٩١.
(٢) هي الرسائل التي تعرض لفكرة معينة أو تعبر عن شعور الكاتب تجاه موقف معين، وتكتب بأسلوب أدبي. ينظر: عبد العال، محمد، في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص، ط١،(مصر: الشركة المصرية للنشر، ١٩٩٦م)، ص١٦٢.
(٣) ينظر: ضيف، شوقي، العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص٤٦٦.
(٤) ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٤٦٨.
(٥) بدوي، أحمد أحمد، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، ط٢،(القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت)، ص٣٠٣.
(٦) ينظر: حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية ، مرجع سابق، ص٢٣٦.

ولكن على الرغم من تعدد تسمياتها إلا أن المفهوم يكاد يكون واحدا، وعليه فالرسالة الديوانية هي رسالة رسمية تصدر عن ديوان الخلافة في شأن من شئون الدولة في الحكم والسياسة والإدارة، يوجهها الخليفة أو الأمير أو السلطان إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه ، بل ورعيته، وقد يتوجه بها إلى أعدائه منذرا متوعدا(١).

ولصدور هذا اللون الكتابي عن الخلفاء وأصحاب السلطة وقع الاهتمام به، ومن شواهد ذلك كثرة المصنفات التي توالى على وضعها العلماء وأرباب الصناعة على تعاقب العصور، تلك المصنفات التي تحكم أصوله و تبين مبادئه وتضبط قوانينه على مستوى الشكل والمضمون، وتوضح ما يجب على الكاتب من الشروط وترشده إلى طريق التفوق فيه. وكان لديوان الإنشاء الفاطمي تقاليد خاصة ورسوم محددة، وقواعد تحكم العمل فيه، تكاد تكون أصولا ثابتة يتعارف عليها الكتاب ويتبعونها في مكاتباتهم ، ولذا نجد أحد كتابهم وهو علي بن خلف الكاتب (توفي بعد٤٣٧هـ) يصنف في هذه الصناعة جامعا أصولها وفروعها ورسومها المستعملة(٢). ولعل مما يحسب للكتاب الفاطميين أن كثيرا من هذه الرسوم ظلت متبعة في العصرين الأيوبي والمملوكي(٣).

وتعد الرسائل الديوانية من أهم المكاتبات التي حبرها كتاب الفاطميين لأنها" الكتب النافذة في جلائل الخطوب ومعاظم الأمور وسياسة الجمهور وقوام الدنيا والدين"(٤).

(١) ينظر: عتيق، عبد العزيز، في النقد الأدبي، د.ط،(بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٢م)، ص٢٢٢، و عبد العال، محمد، مرجع سابق، ص١٦٢.
(٢) ينظر: مواد البيان، تح/ حاتم الضامن، ط١،(دمشق: دار البشائر، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م). ص١٦.
(٣) ينظر: الحباشنة، سمير عبد الوهاب، مرجع سابق، ص٤٢.
(٤) الكاتب، علي بن خلف، مصدر سابق، ص٣٤٢.

ومن أولئك الكتاب الذين برزوا في الكتابة الديوانية حيث كان من رؤساء الديوان الفاطمي، أبو سعد العميدي، وسيكون التعريف به في المبحث التالي.

المبحث الأول

العميدي ورسائله

أ- التعريف بالعميدي(ت٤٣٣هـ)

هو محمد بن أحمد بن محمد، أبو سعد وقيل أبو سعيد العميدي[١]. أحد كتاب ديوان الإنشاء في مصر زمن الدولة الفاطمية عاش في القرنين الرابع والخامس الهجريين .

وتكاد تغفل المصادر الترجمة له عدا مصادر قليلة عرضت له بصورة مقتضبة ليست ذات غناء في الغالب، إذ لا تمدنا بأخبار يمكن من خلالها معرفة سنة ولادته وأصله ونشأته وحياته وشيوخه ، في حين أن بعض المصادر رجحت أنه من أصول خراسانية وأنه من أحفاد أبي الفضل بن العميد(ت٣٦٠هـ) [٢].

ولعل رسائله خير معين في تجلية بعض الأمور المتعلقة بنشأته ، حيث جاء في بعضها[٣] أنه عراقي النشأة حيث عاش في بيئة علمية تزخر بالكتاب والأدباء

(١) ينظر في ترجمته: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، تح: إحسان عباس، معجم الأدباء، ط١،(بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ت١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ١٤٥/٥، و القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ط١، (بيروت:المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ)، ٤٦/٣، و الصفدي ،صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الوافي بالوفيات، د.ط،(بيروت: دار إحياء التراث ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ٧٥/٢، و السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، د.ط،(صيدا: المكتبة العصرية،د.ت)، ٤٧/١، و الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، ط١٥، (بيروت: دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢م)، ٣١٤/٥، و سليم الباباني ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، د.ط،(بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٩٥١م)، ٦٤/٢، سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي(الكتابة والكتاب)، د.ط، (الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ت)، ص٤٥١.

(٢) ينظر: الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة٤٦٢/٤، نقلا عن الأحمدي، خلود، مرجع سابق، ص٤.

(٣) ينظر: العميدي، أبو سعد محمد بن أحمد، رسائل العميدي، تح:إحسان ذنون الثامري، د.ط،(د.م: د.ن، د.ت)، ص٤٣٢-٤٣٣.

والعلماء والرؤساء ، ولعل هذه البيئة قد هيأته فيما بعد لأن يفد إلى مصر ويلتحق بديوان الإنشاء فيها.

والمؤكد من أخباره أنه سكن مصر، ولعل إشارة المصادر إلى ذلك ترجع إلى أنه تقلد فيها بعض الوظائف المرموقة، حيث عمل في بعض دواوين الدولة الفاطمية، منها ما نصت عليه المصادر ومنها ما يلمح عند قراءة رسائله، ولعل أول وظيفة تقلدها ما ذكره ياقوت من أنه تولى ديوان الترتيب ثم عزل عنه في أيام الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (حكم ٤١١هـ-٤٢٧هـ) وكان ذلك سنة ٤١٣هـ[١].

ويبدو أنه عوض عن هذه الوظيفة بغيرها أعلى شأنا على ما يظهر من بعض رسائله الإخوانية[٢]، ولكنه آثر عدم الإفصاح عنها خشية الحساد والوشاة. وقد ذكر محقق رسائله أنه عمل لبعض الوقت في عهد الخليفة الظاهر صاحب خريطة، ولأهمية هذه الوظيفة يخول صاحبها لأن يكون من مجالسي الخليفة، الأمر الذي جعله يرفض منصب الحسبة-مستقلا له- حينما عرض عليه، معللا ذلك بأنه جليس الخليفة وصاحب خريطته[٣] .

(١) ينظر: مصدر سابق ١٤٥/٥. وديوان الترتيب من الدواوين المهمة في النظام الإداري الفاطمي، وهو من الدواوين التي استمرت طيلة العصر الفاطمي مع تبدل اسمه وتوسيع مهامه ذكره ابن الصرفي في كتابه وسماه ديوان الترتيب أو الرتيب ووظيفته تعادل ديوان البريد، أما عمله فهو أشبه بالتنسيق بين دواوين الدولة وهو الدور الذي سيقوم به في العصر الفاطمي الثاني ديوان التحقيق. ينظر: ابن الصيرفي،علي بن منجب، القانون في ديوان الرسائل، مصدر سابق، ص٣٥، والعميدي، مصدر سابق، مقدمة التحقيق، ص(و)، وسيد، أيمن فؤاد، مرجع سابق، ص٢٥٨.

(٢) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص١٣٨-١٣٩.

(٣) ينظر: المصدر السابق، مقدمة التحقيق ، ص(ط). ووظيفة صاحب الخريطة وظيفة في الجهاز الإداري الفاطمي تختص بأوراق العرض، يحملها صاحب الخريطة معه من الديوان بالحضرة في ركب الجيش، ويقوم صاحب الوظيفة بحمل الأموال لتفريقها على المستعطين من الخليفة في ركوبه، إذ تكون في تلك الخريطة أموال معدة لمن يؤمر بالإنعام عليه. ينظر: المصدر السابق، مقدمة المحقق ص(ح).

ولعل وراء عمله في هاتين الوظيفتين وظائف أخرى، حيث نجد في بعض رسائله إشارات متفرقة تدل على تسلمه مناصب إدارية أخرى في الدولة، ولكنها إشارات مبهمة لا يمكن معها الجزم بماهيتها فضلا عن معرفة طبيعتها(١)

ولم يقف الطموح بالعميدي عند هذا الحد، بل تطلع إلى وظيفة عالية يصبو إليها كل كاتب، وهي التعيين في ديوان الإنشاء الفاطمي فضلا عن أن يكون رئيسا أو متوليا له ، ولا يخفى مدى الشهرة التي اكتسبها ديوان الإنشاء الفاطمي في مصر حيث اتسع ذكره في الآفاق، وما ذاك إلا لاهتمام الدولة به من جهة ومن جهة أخرى امتياز كتابه الذين ارتفع بهم قدره(٢).

فيذكر ياقوت أنه " تولى ديوان الإنشاء بمصر في أيام المستنصر، استخدم فيه عوضا من ولي الدولة ابن خيران الكاتب في صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة"(٣)، غير أن مدة بقائه في الديوان لم تطل إذ سرعان ما توفي سنة ٤٣٣هـ في يوم الجمعة لخمس خلون من شهر جمادى الآخرة على ما أجمعت عليه أكثر المصادر(٤) .

وما كان للعميدي أن يترقى في دواوين الدولة حتى يصل به المقام إلى أن يتولى ديوان الإنشاء بها، هذه الوظيفة المرموقة التي تلي رتبة الوزارة في الأهمية لولا براعته في كثير من علوم العربية، فقد وصفه ياقوت بأنه "نحوي، لغَوِيّ، أديب" ، وأضاف غيره بأنه" كاتب"(٥) ، ويظهر كذلك أنه شاعر حيث أوردت له بعض

(١) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص٨١، ١٤١.
(٢) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٤١٦/٥.
(٣) مصدر سابق،١٤٥/٥.
(٤) جعل القفطي وفاته سنة٤٤٣هـ في حين جعلها صاحب هدية العارفين سنة٤٢٣هـ. ينظر: مصادر ترجمته.
(٥) الصفدي، مصدر سابق، ٥٥/٢.

المصادر أبياتا من الشعر[١]، فضلا عن كثير من الأبيات الشعرية التي يوردها في رسائله غفلا من ذكر قائلها، الأمر الذي يرجح معه محقق رسائله أنها من نظمه[٢].

ولا شك أن هذه المعارف المتنوعة تنم عن غزارة علم وسعة اطلاع ، وقد أودع كل ذلك في مصنفات عديدة تدل على طول باعه في التأليف والتصنيف، ولذا وصف بأنه"مصنف"[٣] ، وقد أوردت مصادر ترجمته جملة مؤلفاته، وهي: كتاب تنقيح البلاغة، وذكر ياقوت أنه في عشر مجلدات وقد رآها في دمشق في خزانة الملك المعظم، وعليها خطه وقد قري عليه في شعبان سنة٤٣١هـ. وكتاب الإرشاد إلى حل المنظوم و الهداية إلى نظم المنثور[٤] . وكتاب آخر بعنوان انتزاعات القرآن، وفي العروض والقوافي تذكر له كتاب العروض، وكتاب آخر بعنوان القوافي وصفه ياقوت بأنه كبير. ولعل ما سبق من مصنفات في حكم الضائع أو المفقود حيث أنها لم تصل إلينا. وله كتاب في النقد مطبوع ومتداول وهو الإبانة عن سرقات المتنبي[٥]، وقد وصفه صاحب إنباه الرواة أنه كتاب حسن يدل فيه على اطلاع كثير.

وللعميدي بعد ذلك رسائل فنية[٦]، وهي ما لم تشر إليها المصادر، غير أن وصف الصفدي له بأنه" كاتب" يشي ببراعته وجودة كتابته، ولعله يكفي في بيان

(١) ينظر: الحموي، مصدر سابق، ١٤٥/٥، والثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد قميحة، ط١،(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٣هـ=١٩٨٣م)، ٢٥٧/٥.

(٢) ينظر: العميدي، مصدر سابق، مقدمة التحقيق، ص(ف).

(٣) الحموي، ياقوت، مصدر سابق، ١٤٥/٥.

(٤) جعله القفطي كتابين مستقلين. ينظر: القفطي، مصدر سابق، ٤٦/٣.

(٥) قدمه وحققه وشرحه إبراهيم الدسوقي ونشر ضمن مجموعة الذخائر(٣١) بدار المعارف بمصر سنة١٩٦١م.

(٦) حققها ونشرها الدكتور إحسان ذنون الثامري ضمن إصدارات كرسي الدكتور عبد العزيز المانع في جامعة الملك سعود.

منزلته الأدبية ما وصف به القلقشندي كتاب ديوان الإنشاء في مصر الفاطمية بأنهم من أفاضل الكتاب وبلغائهم(١).

ب- رسائل العميدي وقيمتها الأدبية والتاريخية

يحوي مجموع رسائل العميدي سبعا وتسعين رسالة، وهي في أكثرها رسائل إخوانية كتبها في موضوعات متفرقة من التهنئة والتعزية والعتاب والاعتذار والشكوى والاقتضاء والشوق والاستزاره والوصف، وغيرها من الموضوعات التي "تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم"(٢)، والتي نلمس من خلالها اتصاله بشخصيات أدبية من أمثال الشريف المرتضي(٣)، وأبي إسحاق الصابي(٤)، وبعض الأشراف الذين لم يصرح بأسمائهم(٥)، فضلا عن اتصاله بشخصيات سياسية وإدارية كثيرة في في أقاليم متعددة من العالم الإسلامي، من أمراء ، ووزراء، وقضاه، وأصاحب دواوين(٦)، وغيرهم من رجالات الدولة الفاطمية مما يدل على تمتعه بعلاقات اجتماعية واسعة فضلا عن صلات الود والصداقة التي تربطه بالكثير منهم، ولا شك أن لهذه الرسائل قيمة تاريخية وفنية في بابها، مما لا يدخل في موضوع الدراسة.

أما رسائله الديوانية –موضوع الدراسة– فهي رسائل رسمية سياسية لا تتجاوز الخمس رسائل، ولهذا النوع من الرسائل قيمة تاريخية تضاف إلى قيمتها الأدبية و الفنية، وذلك بحكم صدورها عن ديوان الرسائل الذي عرف كتابه بامتلاكهم ناصية البيان" والحقيقة أن صورة الرسالة الديوانية المنقولة إلينا تظهرها في مستوى رفيع من الضبط والدقة والاكتمال"(٧)، مما سيتضح بيانه خلال الدراسة.

---

(١) ينظر: مصدر سابق، ٤١٦/٥.
(٢) ينظر: ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص٤٩١.
(٣) ينظر: العميدي، ، مصدر سابق، ص٤٢٩.
(٤) ينظر: المصدر السابق، ص٤٢٦.
(٥) ينظر: المصدر السابق، ص٤٣، ٥٤، ١٢١.
(٦) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص٤١٦،٢١٦،١٦٧،١٣٧،١٣٢،٩٠،٢٢،١٣.
(٧) العريفي، سعد عبد الرحمن،" صورة الرسالة الديوانية في المدونة التراثية"، جامعة القصيم، مجلة العلوم العربية والإنسانية، مج٧، ع٤، ص١٤٠٩.

أما قيمتها التاريخية فتظهر من خلال ما عرضه العميدي من موضوعات، وجلها في شئون الدولة السياسية، ولذا فهي تؤرخ لحقبة هامة من التاريخ الإسلامي عامة والتاريخ الفاطمي في مصر على وجه الخصوص، حيث تتناول أحداثا سياسية تعود إلى عصر الخليفة الظاهر(حكم٤١١هـ-٤٢٧هـ) غيبتها نوعا ما المصادر التاريخية المباشرة إلى جانب أهمية معاصرتها لها[١] ، كما أنها تكشف طرفا عن طبيعة العلاقات السياسية القائمة بين الفاطميين وبعض الزعامات العربية المعارضة في بلاد الشام، فضلا عن بيان ما تنتهجه الدولة معها من سياسة الاستمالة والاصطناع وإغداق الأموال ومنح الإقطاعات مما يدل على ما يتمتع به خلفاؤها من حكمة وحنكة في إدارة المنازعات الحادثة بينهم وبين الخارجين عليها ، وهذا مما يحرص عليه الفاطميون في سبيل تثبيت سلطتهم في المنطقة تمهيدا لتقويض الخلافة العباسية في بغداد.

كما تكشف رسائله عن جانب من الجوانب الدينية المتعلقة بالمعتقد الفاطمي المتمثل في (الإمامة) وإثبات صحة نسبهم وارتباطهم بالرسول ﷺ.

ولا تخلو رسائل العميدي الديوانية من قيمة أخرى في الجانب الاجتماعي حيث تبرز لنا جانبا من عادات الخلفاء وتقاليدهم في بعض المواسم وما يقيمونه من احتفالات ومواكب مصاحبة لها ، الأمر الذي يوقفنا على ما تتمتع به الدولة الفاطمية من فخامة وأبهة وثراء، تهدف من وراءه إلى إظهار عظمتها وقوتها وخاصة للخلافة العباسية.

وعلى الجملة فلعلني لا أغالي إذا قلت أن رسائل العميدي أشبه ما تكون بالوثيقة التاريخية الهامة من كافة النواحي السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في مصر إبان العصر الفاطمي.

(١) ينظر: الأحمدي، خلود، مرجع سابق، ص٧.

المبحث الثاني

موضوعات رسائل العميدي الديوانية ومضامينها

للرسائل الديوانية موضوعات كثيرة ومقاصد عديدة أنهاها القلقشندي إلى ثلاثين نوعا ، ومنها، الكتب في: انتقال الخلافة، والدعاء إلى الدين، والحث على الجهاد والحض على الطاعة، والكتب فيمن خلع الطاعة، والفتوحات، والإحماد، والهدن والعهود والتقاليد والمناشير والسجلات وغيرها(١) ، كما أفاض الحديث حول رسومها وتقاليدها سواء في المعاني التي تبنى عليها أو في بنائها الشكلي وما يكون في افتتاحياتها وخواتيمها، وما يستحسن فيها من إطالة وإيجاز، ولعله أكبر مصدر موسوعي اهتم بشئون الكتابة الإنشائية إذ "هي الجزء الأعظم من صناعة التّرسّل، وعليها مدار صنعة الكتابة، إذ الولايات من مقاصد المكاتبات، وهي أهمّ ما تضلّع به الكاتب، وألزم ما مهر فيه "(٢) .

وما يهمنا هنا هو ماله علاقة برسائل العميدي، فعلى الرغم من محدودية عددها إلا أنها جاءت متنوعة في موضوعاتها. وغني عن القول مدى العلاقة الوثيقة بين فن الرسالة الديوانية والسياسة(٣)، ولارتباط موضوعات رسائله بأحداث سياسية ، يحسن التمهيد لها بما يكشف عن دواعي كتابتها.

ترتبط أربع رسائل للعميدي بأحداث سياسية تتصل ببلاد الشام ومحاولة الاستقلال به عن الخلافة الفاطمية، تزعمها ثلاثة من زعماء القبائل العربية، وهم صالح بن مرداس الكلابي ملك حلب (ت٤٢٠هـ)، وحسان بن جراح الطائي أمير الرملة (ت بعد٤٢١هـ)، وسنان بن عليان الكلبي (ت٤١٩هـ).

---

(١) ينظر: مصدر سابق، ٥٠/١.
(٢) مصدر سابق،٢٣٦/٨.
(٣) ينظر: العريفي، سعد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص١٤٠١.

وكان قد اتفق هؤلاء على تعزيز مواقفهم الدفاعية ضد الدولة الفاطمية فأعلنوا الخروج عن طاعتها، وعقدوا حلفا سياسيا يقضي بتقسيم بلاد الشام فيما بينهم، على أن تكون حلب وما معها لابن مرداس وقبيلته من بني كلاب، وفلسطين وما برسمها لابن الجراح ، ودمشق وأعمالها لابن عليان وعشيرته(١).

وكانت هذه القبائل الشامية قد انتهزت فرصة انتقال الخلافة إلى الظاهر لإعزاز دين الله بعد وفاة والده الحاكم بأمر الله سنة٤١١هـ ، وما عصف بدولته من ظروف سياسية سيئة أدت إلى ضعف خلافته فكثر المتغلبون على الحكم هناك(٢).

وبالفعل بدأ الثلاثة بتطبيق قرارهم، فسار حسان نحو الرملة فدخلها سنة ٤١٥هـ واستولى عليها وبقي متغلبا فيها حتى سنة٤٢٠هـ، بينما سار ابن مرداس نحو دمشق وملكها سنة٤١٥هـ واستمر يملكها حتى سنة٤٢٠هـ، أما ابن عليان الكلبي فقد توفي أثناء ذلك، وانتهى بموته تحالف الكلبيين ضد الدولة(٣).

ولما علم الخليفة الظاهر بتمردهم واستقلالهم بالبلاد عزم على مواجهتهم فأرسل جيشا بقيادة الدزبري فالتقى بهم في موقع يعرف بالأقحوانة الصغرى، فدارت بين الفريقين معركة انتهت بانتصار دولة الخلافة وقتل صالح بن مرداس وابنه الأصغر، أما حسان بن الجراح فقد لاذ بالفرار، وكان ذلك في سنة ٤٢٠هـ(٤).

---

(١) ينظر: ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ ، تح/ عمر عبد السلام تدمري، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م)،٢٣٠/٩، والتكريتي، محمود ياسين، " الدور السياسي للقبائل العربية في الشام"، آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع٧، ١٩٧٦م، ص١٧٧.

(٢) ينظر: العبادي، أحمد مختار، د.ط، في التاريخ العباسي والفاطمي، د.ط، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت)، ص٢٤٩.

(٣) ينظر: ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، مصدر سابق، ٢٣٠/٩، ويوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د.ط،(مصر: دار الكتب، د.ت)، ٢٤٨/٤.

(٤) ينظر: المقريزي، أحمد بن علي، مصدر سابق، ١٧٦/٢-١٧٨ ، والعزم، عيسى محمود: بلاد الشام في العصر الفاطمي.(رسالة ماجستير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٢م)، ص٨٦.

وفي هذه الأحداث تأتي رسائل العميدي الأربع، والتي يمكن وصفها بأنها رسائل سياسية تصور الأحداث الحاصلة بين زعماء القبائل العربية في الشام ودولة الخلافة ، كما تكشف عن تمرد هؤلاء الزعماء وخروجهم عن الطاعة، والتحالف على تقليص النفوذ الفاطمي في المنطقة، مما يعني اضطراب الأحوال السياسية هناك، وما يستتبعه من خراب ودمار وانفلات أمني، الأمر الذي يستدعى دولة الخلافة إرسال الكتب إليهم، من أجل ثنيهم عما تحالفوا عليه.

وانتظام الأحداث في سلك واحد ووصف رسائله بأنها سياسية، لا يعني أنها جاءت في موضوع واحد، بل على العكس من ذلك فقد جاءت متنوعة بقدر عددها في الغالب، ولذا سنتناول كل موضوع على حده مع بيان رسومه وتقاليده، ومن نافلة القول أن هذه الموضوعات هي مما استقرت رسومها، يقول صاحب مواد البيان:" وكل هذه الأنواع متداولة وقد استقرت لها رسوم معروفة ومثل مألوفة"(١).

١- رسائل التهديد والوعيد فيمن خلع الطاعة

كتب العميدي في هذا الموضوع رسالتين وجههما إلى بعض المعارضين للدولة ممن خلع الطاعة وأعلن العصيان ، الأولى موجهة إلى حسان بن جراح، والثانية لصالح بن مرداس ، ولا شك أن في مكاتبة هذين الخارجين ما يؤكد حرص الدولة على استصلاحهما رجاء عودتهما وإنابتهما، وهو ما جرت به العادة في مكاتبة المخالفين(٢).

وكما تتشابه الرسالتان في موضوعهما العام من التهديد والوعيد فهما كذلك تتشابهان في المضامين الفرعية، ولقد أوضح القلقشندي بعضا من رسوم المعاني التي يجدر بالكاتب الإتيان بها في مثل هذا النوع من المكاتبات، وإن كانت الإحاطة

(١) علي بن خلف، مصدر سابق، ص٣٤٤.
(٢) ينظر: علي بن خلف، مصدر سابق، ص٣٦٣، والقلقشندي، مصدر سابق، ٢٦٦/٨.

برسومها مما يصعب، وذلك لأن " هذه الكتب تختلف رسومها بحسب اختلاف أقدار المكاتبين وأحوالهم في الخروج عن الطاعة"(١) .

ومن الرسوم المقررة في الكتب النافذة إلى من خلع الطاعة أن تستفتح بتحميد يناسب موضوع الرسالة والصلاة على نبيه وذلك بهدف إيناس المخاطب وإزالة أسباب الوحشة بينه وبين المرسل وبعثه على مراجعة الفكر ومعاودة النظر في أمره(٢)، غير أن العميدي يعرض عن تلك الافتتاحية ويهجم على موضوعه مباشرة بعد التمهيد له بعبارة (أما بعد)، ولعل إعراضه عنه من قبيل إهماله له كونه معروفا سلفا، ويحتمل أن يكون سقط سهوا من قبل الناسخ، غير أن البحث يرى في إهماله له سببا آخر سيعرض له لاحقا خلال دراسة البناء الفني للرسالة.

ويمضي الكاتب في إيراد الكثير من المعاني وفق الرسوم المتعارف عليها، وإن كان حصر معانيها كذلك واستيعابها مما يصعب على الكاتب، ولذا نجد صاحب مواد البيان يعتذر لذلك ، بقوله" جمع أوضاعها كلّها في قانون كلّيّ عسير المرام إلّا أننا نرسم فيها رسوما يمكن الزيادة فيها والنقص منها"(٣).

ومن تلك الرسوم المقررة التي جاءت ماثلة في رسائل العميدي بشكل واضح بل ومكرر في مواضع متفرقة من رسالتيه، تذكير المخالف بأفضال الدولة وعوارفها عليه(٤)، وفي ذلك يقول لحسان :" أما بعد فإن نعم أمير المؤمنين وإن كانت فائضة على أولياء دولته...فإنك يا حسان بن جراح مخصوص من نعمه العميمة ظاهرا وباطنا ورحمته العظيمة غائبا وحاضرا"(٥). وكذلك ضرورة تذكيره بشكر النعم

(١) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٢٦٦/٨.
(٢) ينظر: المصدر السابق، ٢٦٦/٨.
(٣) علي بن خلف، مصدر سابق، ص٣٦٣.
(٤) ينظر: علي بن خلف، مصدر سابق، ص٣٦٣، والقلقشندي، مصدر سابق، ٢٦٦/٨.
(٥) العميدي، مصدر سابق، ص٢٦٧.

والاعتراف بها وعدم كفرها وجحودها بل طاعة المنعم بها واتباعه[١]، وهنا نجد العميدي يبين موقف حسان وقبيلته من تلك النعم ، حيث قوبلت بالكفران والجحود، فيقول:" فلم يقابلوا هذه المواهب التي ما خطرت بخواطرهم ولا استقرت في ضمائرهم بحمد ولا شكر..." [٢]. ومن المعاني المتعارف عليها كذلك ضرورة مخاطبة المخالف بما يشعره بوجود بارقة من أمل في عودته إلى جادة الصواب ولزوم الطاعة وترك المخالفة[٣]، وهذا ما يلح عليه العميدي كثيرا ، حيث يخاطب حسانا بعد أن ذكره بأفضال الدولة عليه على الرغم مما بدر منه من جرائر كثيرة وما ذاك إلا "...رغبة في اصطفائك واستخلاصك وحرصا على تهذيبك واختصاصك"[٤].

ولخاتمة الرسالة معاني مقررة من ضرورة تنويه الكاتب بتهديده المخالف ووعيد الخليفة له[٥]، وهنا نجد العميدي يجمع بين الوعد والوعيد والتهديد والمصانعة، ومن ومن ذلك قوله لابن مرداس:" تيقن أن أمير المؤمنين لم يألك نصحا ولم يطو عنك من التذكير والتبصير شرحا ولم يرد أن يغلق باب الصفح إن رزقت الاستصفاح دونك أو يؤيسك من مراحمه إذا عرف ركونك إلى الطاعة وسكونك وقد هداك إلى رشدك إن أعان التوفيق ودعاك إلى التوبة من قبل أن ينسد عليك الطريق فإن تسرعت بعد الإعذار والإنذار إلى امتثال مراسمه لم تعدم شهود مكارمه وان استعذت بعد الإبقاء والإرعاء من نقمته لم تحرم شامل رحمته وإن ضرب الشيطان بينك وبين الإنابة بالأسداد وسد عليك الخذلان أبواب الرشاد والسداد أوردك موردا ما عنه صدر وتركك ولا يبقي لك أثر..." [٦]، وكذلك قوله لحسان:"لقد من عليك أمير المؤمنين مرة أخرى وذكرك بهذا الكتاب إن نفعت الذكرى وبلغ في الإبقاء عليك

(١) ينظر: علي بن خلف، مصدر سابق، ص٣٦٣، والقلقشندي، مصدر سابق، ٢٦٦/٨.
(٢) العميدي، مصدر سابق، ص٢٦٨.
(٣) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٢٦٧/٨.
(٤) العميدي، مصدر سابق، ص٢٧٤.
(٥) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٢٦٦/٨.
(٦) العميدي، مصدر سابق، ص٢٩٩-٣٠٠.

الغاية القصوى وحذرك نكال الآخرة والأولى ودعاه فرط شفقته على خدمه وعبيده وحسن ثقته بربه في تمهيد ملكه وتشييده إلى الإنذار قبل الانتصار، والإعلام قبل الانتقام وقلدك البغي فيما أنت بسبيله آخذا بالأدب الموروث من إبائه ومستعينا بالله على أضداده وأعدائه، فإن وفقت للتوبة والإنابة فلا مقنط من إصلاحك وإن عدمتها رأيت سوء صباحك"(١).

والرسالتان تتميزان بالطول ولذا يلجأ الكاتب إلى تضمينهما الكثير من المعاني التي لا تخرج بالرسالة عن موضوعها الأساسي من التهديد والوعيد ، ومن تلك المعاني التأكيد على قوة الدولة وقدرتها على القضاء على المخالفين لها والخارجين عليها(٢) ، وكذلك التأكيد على فطنتها ويقظتها وعلمها بتحركات هؤلاء وما يحوكونه من دسائس ومؤامرات وما يجمعونه من أتباع وأعوان، مع تنويهه المتكرر لهم إلى أن إبقاء الدولة عليهم من باب الاستمالة والاصطناع لا غير، ومن ذلك قوله لابن مرداس :"كأنك لم تدر أن أمير المؤمنين علم أول أمرك وآخره ... وتحقق ما كان منك حين دعوت غيرك إلى العناد والنفاق وحالفته على شق العصا والشقاق...فعند ذلك كاتبت محالفيك بل مخاليفك تبعثهم على المجاهرة...عسى يا ابن مرداس حدثتك نفسك لما امتد إهمالك وإمهالك وطال إعراض أمير المؤمنين عن معالجتك...أنك من المنظرين" (٣).

وهنا يظهر إلمام العميدي بتاريخ هؤلاء وما كان منهم من ممارسات سيئة ضد الدولة منذ ظهورهم في بلاد الشام كقوى سياسية معارضة تناصبهم العداء وتثير الشغب في المنطقة، ولا شك أن إلمام الكاتب بتاريخ المرسل إليه مما يلزم الكاتب

(١) العميدي، مصدر سابق، ص ٢٨٣.
(٢) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص٢٧٠.
(٣) العميدي، مصدر سابق، ص٢٨٩-٢٩٤.

في ديوان الإنشاء، وهنا تبرز مهارة العميدي في معرفته بأدق التفاصيل المرتبطة بهما.

ويرتبط بالمعنى السابق وصفه المسهب لأتباع هؤلاء وأعوانهما بأبشع الصفات، ومن ذلك وصفه لأتباع ابن مرداس "بكلاب جمعتهم الأهواء الفاسدة والآراء الشاردة"(١) وبأنهم أولياء الشيطان وأبناء الرعيان(٢). ويضيف إليهم صفات الخرق والحمق والسفه(٣). وينعتهم بالكفرة(٤) وبالأوباش(٥) وبـ" العصبة العادية والكلاب الغاوية والفئة الباغية والطائفة الممتدة في الضلالة المتمادية"(٦).

ولعل الخطاب السياسي القائم على الانتقاص من مناصري الزعماء الخارجين سمة من سمات الدعاية الإعلامية للفاطميين، وفي ذلك امتهان لهم ربما زعزع ثقتهم بأنفسهم، وقد يؤدي إلى امتناعهم عن مناصرة أولئك الزعماء أو الانكسار النفسي لهم(٧).

ومن الغريب أننا نجد العميدي بعد وصفه الشنيع لأتباع ابن مرداس يعود فيصفهم في موضع آخر وصفا مغايرا، إذ يصفهم بالعرب الصرحاء ويطنب في امتداحهم بكرم الأصول ووفرة العقول(٨)، ولعل هذا التناقض الظاهر يدل على اختلاف مفهوم العرب والأعراب عنده(٩).

---

(١) العميدي، مصدر سابق ، ص٢٩٠.
(٢) المصدر السابق ص٢٩١.
(٣) ينظر: المصدر السابق، ص٢٩٢.
(٤) ينظر: المصدر السابق ، ص٢٩٣.
(٥) ينظر: المصدر السابق، ص٢٩٥.
(٦) المصدر السابق ص٢٩٧.
(٧) ينظر: الأحمدي، خلود محمد، مرجع سابق، ص٢٥.
(٨) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص٢٩٣.
(٩) الأعراب هم الذين يسكنون البوادي وكثيرا ما يتصفون بالصفات السيئة والذين يطلق عليهم في بعض المصادر العربان، أما مفهوم العرب ويقصد بهم القبائل العربية ولعله يقصد هنا قبيلته بني كلاب الذين انخدعوا بكلامه وانضووا تحت لوائه جهلا منهم بمكنون اعتقاده كما عبر عن

ومن المعاني المناسبة لموضوع الرسالة وصف قوة الجيش الفاطمي، ومن ذلك وصفه للجيش الذي سيره الخليفة الحاكم لحرب حسان، معتمدا في عرضه على أسلوب الكناية، فيقول:" ورماك من جنود الله بكتائب كانت السعادة تخدم أعلامها والهيبة تسير أمامها وقدم مثلك تزل عن الثبات قدامها وهمتك تقصر عن أن ترى غبارها..." [١]. ولا شك أن هذا المعنى من شأنه أن يوقع الرعب في قلوب هؤلاء ويصرفهم عما تحالفوا عليه. ومما يرتبط بموضوع الرسالة وما فيه من تهديد ووعيد تخويف أولئك الخارجين من انفضاض الأتباع من حولهم عندما يرون جيوش الدولة قادمة لقتالهم فيخاطب حسانا بقوله:" إن الذين جمعتهم من خراب البلاد...إذا رأوا رايات النصر خافقة... خذلوك وقت الاستنصار وبذلوك بعد الاستبصار وتبرأوا منك...وباعوك بأوكس الأثمان..." [٢]، والمعنى ذاته نجده في رسالته لابن مرداس مضيفا إليه بما يزيد من خوفه أن هؤلاء الأتباع أو طائفة منهم ستتعاون مع الدولة في القبض عليه والخلاص منه، إذا ما عرفوا بسوء نيته وخبث طويته، ولعله يعني بهم العرب الصرحاء الذين سبق وأن وصفهم بأحسن الصفات[٣].

وهكذا نرى العميدي يفيض القول في رسالتيه فيأتي على الكثير من المعاني المرتبطة ارتباطا وثيقا وموضوع رسالته، وما ذاك إلا أن رسم هذه الكتب أو الرسائل مما يحتاج الكاتب معه إلى الإطالة "المعاني التي يحتاج فيها الكاتب إلى الإطالة ترجع إلى أصول محدودة وأجناس معدودة من الأمر والنهي...والإحماد والإذمام والثناء والوعد والوعيد"[٤]. ولعل طبيعة الموضوع قد أتاحت المجال واسعا أمامه لئن يطنب في المعاني ويسهب، فضلا عن أن "المعاني مبسوطة إلى غير غاية ممتدة

ذلك في موضع آخر من رسالته. ينظر: الأحمدي، خلود محمد، مرجع سابق، ص٢٥، وينظر: العميدي، مصدر سابق ، ص٢٩٣،

(١) العميدي، مصدر سابق، ص٢٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧١-٢٧٢.

(٣) ينظر: العميدي، مصدر سابق ، ص٢٩٦-٢٩٧.

(٤) علي بن خلف، مصدر سابق، ص٩٣-٩٤.

إلى غير نهاية "[١]. وهو في ذلك كله لم يخرج عن رسومها المتعارف عليها، بل دار في فلكها وزاد عليها بما يراه مناسبا وغرض الرسالة.

ولعل مما يجدر التنويه إليه أن الرسالتين وإن لم تؤثرا في حسان وابن مرداس تأثيرا مباشرا من شأنه أن تصرفهما عما تحالفا عليه ، فإنهما ولا شك قد أثرت فيهما تأثيرا غير مباشر ونالت من قوة روحهما المعنوية مما ساعد على انتصار جيوش الدولة والظفر بهما قتلا وفرارا في معركة الأقحوانة المشار إليها آنفا.

٢- رسائل الفتح

تعد رسائل الفتح من الموضوعات الكبرى في الرسائل الديوانية، " تعد الكتب في الفتوحات والظّفر بأعداء الدّولة وأعداء الملة، واسترجاع المعاقل والحصون، والاستيلاء على المدن من أعظم المكاتبات خطرا، وأجلّها قدرا، لاشتمال أغراضها على إنجاز وعد الله تعالى الذي وعد به أهل الطاعة في إظهار دينهم على كل دين، وتوفير حظّهم من التأييد والتّمكين"[٢]

وفي هذا الموضوع نجد للعميدي رسالة في فتح الشام وقتل صالح بن مرداس وهزيمة الأعداء، وقد سار في بناء معانيها على الرسم الذي نقله لنا صاحب صبح الأعشى، وإن كانت رسومها تستعصي على الحصر كما ألمح إلى ذلك[٣]. فمن رسومها أن تفتتح بحمد الله والصلاة على رسوله الأمين، وهنا نجد العميدي يضيف بينهما رسم التشهد ، كما يعطف السلام على رسول الله ﷺ بالسلام على علي بن أبي الطالب رضي الله عنه وعلى ذريته[٤]، ومثل هذا التقليد خاص بالدولة الفاطمية شيعية المذهب.

(١) علي بن خلف،مصدر سابق، ص٣٢١.
(٢) القلقشندي، مصدر سابق، ٢٧٧/٨.
(٣) ينظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٤) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ٣٠٨-٣٠٩.

والرسالة طويلة كسابقتها، ولذا تنوعت مضامينها وتعددت، وقد أجاد الكاتب في عرضها وصياغتها مستعينا بالصور البيانية، ولا غرو في ذلك فإن هذا النوع من الرسائل يحتاج من الكاتب تصريف ذهنه فيها وتهذيب معانيها؛ وذلك لأنها تتلى من فوق المنابر على أسماع السامعين(١).

فبعد الافتتاحية التي يطيل فيها الكاتب يعقبها بحديث مفصل عن عظم نعمة الفتح من بين نعم الله على عباده، مشيدا بها ومبينا منزلتها في إظهار دين الله وإعزازه ، ومنوها بجميل أثرها على البلاد والعباد ودولة الخلافة من العز والتمكين(٢)، فيقول :" أما بعد فإن نعم الله تعالى ذكره وإن كانت متفاوتة الأقدار والمراتب...فاعلاها قدرا وأغلاها مهرا وأوضحها فجرا...نعمة أيدت الدين بعدما هم بنيانه بان يتزعزع...وحسمت أطماع من دلاهم بغرور وحكمت لأنصار الحق بعلو وظهور وقذف في قلوب المخالفين الرعب شرقا وغربا...كالنعمة التي توجه الله سبحانه لأمير المؤمنين بمحاسنها التي تقصر عنها بوارع الهمم والآمال...فإنها نعمة خرت لها جباه النعم ساجدة وبنت للملك فوق سمك السماء قاعدة..." (٣) .

ومما جرت به العادة في رسائل الفتح أن يفيض الكاتب الحديث في ذكر مقدماته وما يكون فيها من تحري أمر العدو وذلك ببث السرايا والطلائع لمعرفة مقاربته ومداناته(٤)، وهنا نجد العميدي يطلعنا على المراسلات الدائرة بين دولة الخلافة وقائد جيشه، فيقول:" ولما اتصلت كتب مملوك أمير المؤمنين بإجماع كلمة الطغاة المارقين والعتاة الفاسقين من قيسيهم ويمانيهم على الخلاف..." (٥)، كما يطلعنا على تباحث دولة الخلافة حول اتفاق الأعداء على تخريب البلاد، فيقول:"

(١) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٢٧٧/٨.
(٢) ينظر : المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٣) العميدي، مصدر سابق، ص٣١٠-٣١١.
(٤) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٢٧٨/٨.
(٥) العميدي، مصدر سابق، ص٣١١.

وعرض بالحضرة اتفاق آرائهم الفاسدة بالشام على إثارة الفتن وتخريب البلاد والمدن واحتشادهم بها موضعين في الفساد مجتمعين على الكفر والإلحاد..." [١].

كما تقتضي رسائل الفتح تفخيم أمر العدو بوصف رجاله وما يملكه من عدد وعتاد، ولا يخفى ما في هذا المعنى من إظهار قوة الدولة بطريق غير مباشر، إذ أن الانتصار على من هذا حاله لا شك أنه أعظم خطرا وأوقع في النفوس أثرا [٢] ، وهنا نجد العميدي يصور اجتماع المخالفين وأتباعهم مغترين بما حصل في أيديهم من عدة الحرب، مضيفا إلى ذلك عرض مخططاتهم التخريبية في بلاد الشام، وما اتفقوا عليه من محاصرة الثغور وانتهاب السهول واستباحة الأموال وإخافة السبل[٣].

ومن رسومها كذلك ما يكون من وصف مواكب الحرب وكتائبه[٤]، وفي ذلك يقول واصفا جيش الدولة وموضحا استعداد الخليفة لتوفير ما يحتاج إليه جيشه من رجال وأموال:" فلم يزل يمد العساكر المنصورة من مقر الخلافة برجال تعودوا من عند الله نصرا وألطافا ويؤيدهم من بيوت الأموال بما يزيد على قدر الكفاية أضعافا"[٥].

ويطرق العميدي معنى سبق وأن عرض له في رسائله السابقة وهو رغبة الدولة الأكيدة في صلاح هؤلاء الخارجين وعودتهم ثانية إلى الطاعة، ولذا يوصي الخليفة وزيره أو قائد جيشه بعدم بدأهم بالقتال دون إنذارهم، علهم يتراجعون عما تحالفوا عليه من تخريب الشام، فيقول:" إلى أن كوتب الأمير في شأنهم...وأمر بالتوفيق في

(١) المصدر السابق، ص٣١٢.
(٢) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٢٧٨/٨.
(٣) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص٣١١-٣١٢.
(٤) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٢٧٨/٨.
(٥) العميدي، مصدر سابق، ص٣١٤.

قراعهم وطرادهم والتثبت في جلادهم وجهادهم وترك معالجتهم بالقتال إلا بعد الإنذار تأكيدا للحجة وإتباعا للسنة وتكميلا للنعمة" [١].

ولا تخلو رسائل الفتح من ضرورة وصف التلاحم بين الفريقين[٢]، وهنا يسهب العميدي في وصف التقاء الجيشين في الموضع المسمى (الاقحوانه)، حيث علم قائد الجيش الفاطمي باجتماع الأعداء هناك فتوجه نحوهم لقتالهم منتهزا الفرصة قبل أن تتفرق جموعهم، ولم يمض وقت كبير حتى وصلوا إلى غربي شاطئ نهر الأردن وتوقعوا أن النهر يمكن أن يشكل عائقا دون وصول جيش الدولة إليهم، لكن الجيش عبر من خلال مشرع الحسينية والتقى هناك بطلائع مقاتلي ابن مرداس وحسان فبادرتهم جيوش الدولة بالاقتناص[٣].

ثم يسترسل في وصف المعركة برسمه المقرر[٤]، فيقول:" فلم يك إلا بمقدار ما أرعفت أسنة الرماح من أحشائهم واختضبت ظبي الصفاح بدمائهم حتى تزلزلت أقدامهم..." [٥]. ولا يكتمل مشهد المعركة إلا بوصف ما أسفرت عنه من نتائج ، فعلى الكاتب أن يذكر" ما انجلت عنه الحرب من قتل من قتل وأسر من أسر، وهزيمة من هزم، وما فاز به الرجال من الأسلاب والأموال، والدّوابّ والرّجال، وما جرت عليه الحال من انفلال العدوّ عند المقاتلة، أو أسر العدوّ إن أسر"[٦]. وهنا نجد العميدي يفصل في نتيجة المعركة وما كان فيها من قتل ابن مرداس وهروب ابن الجراح وانقسام أتباعهما ما بين جرحى واسري ، وما غنمه رجال الدولة من أموال وأسلاب، وفي هذا المعنى يقول:" وطعن الشقي ابن الدوقلية[٧]...طعنة

(١) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٢) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٢٧٨/٨.
(٣) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص٣١٤-٣١٦.
(٤) يقول القلقشندي:" وينعت الدماء المنبعثة من الجراح، على متون الرّماح والصّفاح". ينظر: مصدر سابق، ٢٧٨/٨.
(٥) العميدي، مصدر سابق، ص٣١٧.
(٦) القلقشندي، مصدر سابق،٢٧٩/٨.
(٧) لقب ابن مرداس، والدوقلية اسم أمة.

نجلاء أشرق منها بدمه وخر صريعا ليديه وفمه وحز رأسه من ساعته...وجدل شلوه ملقى بالقاع عبرة للأمم ...وهام الغادر الخاسر جراح على وجهه يبتغي النجاة برأسه...وتبعه في الهزيمة رزايا المعارك...القل من أهله ورهطه...واستغنى الذين جاهدوا في سبيل الله عما أفاء عليهم من أموال وكراع وأسلحة ومتاع وعدد وعتاد ، واقتسم الباقون من أحزابهم وطماعهم...بين قتلى مطروحين...وأسرى مجموعين في الجوامع والأغلال"[١].

وكما بدأت الرسالة بالحمد يحسن أن تختم كذلك بالحمد والثناء على الله تعالى بنصر أوليائه وإذلال أعدائه[٢]، ويضيف العميدي إلى ذلك الدعاء للخليفة بالعز والتمكين وتأليف القلوب على طاعته ، ولدولته بدوام الأمن وانتظام العدل والاستقامة " الحمد لله معين الحق مذيله ومهين الباطل ومزيله...وجعل ملك أمير المؤمنين معقودا بحبل لا تحل مغارة...وأدام عزه مؤيدا ...وسلطانه ممهدا...ومد على أكناف مملكته وأطراف حوزته ظلال الأمن ورواق اليمن ...وألف على طاعته قلوب الخاصة والعامة..." [٣]، وهكذا نجد أن طول الرسالة قد أفسح المجال أمام الكاتب لئن يأتي على أكثر المعاني المطلوبة في رسائل الفتح.

٣- رسائل الإحماد

ومن موضوعات المكاتبات الديوانية الإحماد؛ ، إذ لا غنى لدولة الخلافة عن مكاتبة المخلصين من أبنائها الذين يظهرون لها الولاء والطاعة ويسعون في خدمة مصالحها ، وذلك بعثا لهم على زيادة الإخلاص واستدامة الولاء للدولة[٤].

وللعميدي رسالة يوجهها إلى أهل دمشق [١] يشكرهم على لسان الخليفة على جميل صنيعهم في الوقوف مع الدولة في صد هجمات الأعداء فضلا عن صبرهم

(١) العميدي، مصدر سابق، ص٣١٨-٣١٩.
(٢) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق،٢٧٩/٨..
(٣) العميدي، مصدر سابق، ص٣٢٠.
(٤) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٣٤٩/٨.

على المحن التي أحدقت بمدينتهم . والملاحظ أنه على الرغم من الاختلاف المذهبي بين الخلافة الفاطمية الشيعية وبين أهل مشق السنة إلا أن الفاطميين استطاعوا إيجاد نوع من التفاهم والاتفاق فيما بينهم وبين أهالي دمشق مما له أبعاد سياسية يحرصون عليها .

والرسالة موجزة بالقياس إلى رسائله السابقة، ولعل الإيجاز مما يستحسن في مثل هذه الموضوعات فهي تبدو كمنشور مختصر ومركز يلم فيه الكاتب بمضامين قليلة يراها مناسبة لغرض الرسالة، إذ ليس لهذا النوع من المكاتبات رسوم معينة، إنما مدار ذلك على قريحة الكاتب وصناعته وجودة فكرته مع ضرورة التوسط فيها(٢).

وأول هذه المعاني بعد الافتتاحية ذكر موجبات الشكر وضح خلاله استحقاق أهل دمشق له دون غيرهم من أهالي بلاد الشام لأسباب ذكرها في قوله، :" أما بعد فان أحق الرعايا أن تفاض عليهم ملابس الإنعام....رعية حسنت في الإخلاص أسرارهم وسرائرهم وسلمت من الانتقاص أبصارهم وبصائرهم وأحمدت في المشايعة والولاء عقودهم وعقائدهم، وشهدت بالثقة والوفاء عهودهم ومعاهدهم وتثبتت على مواقف الحق أقدامهم وأنبا عن صحائف الصدق إقدامهم"(٣).

ثم ينتقل بسلاسة ومنطقية من المعنى السابق إلى معنى آخر أكثر خصوصية متبعا أسلوبا في الربط بين المعنيين وهو الانتقال من العام إلى الخاص، فإذا كان

---

(١) تذكر بعض المصادر التاريخية تفاصيل حصار مدينة دمشق من قبل زعماء القبائل العربية ، يتقدمهم سنان بن عليان الكلبي حسب الاتفاق الكائن بينهم في اقتسام بلاد الشام، حيث كانت دمشق من نصيب ابن عليان، فما كان منهم إلا أن نهبوا الغوطة وقتلوا الفلاحين ونهبوا الأموال وألحوا في قتال أهلها، الأمر الذي ألجأ أهالي دمشق إلى الاجتماع بوالي المدينة من قبل الفاطميين، واتفقوا على أن يتم التناوب بينهم في الدفاع عن المدينة، يوما يدافع عنها أهلها ، ويوما جيوش الدولة الفاطمية، واستمر الصراع بين الفريقين حتى انتهى بمقتل ابن عليان الكلبي وخلفه ابن أخيه الذي تصالح مع الفاطميين، وانضم وقبيلته الكلبين إلى جانبهم في معركة الإقحوانة السابق ذكرها. ينظر: المقريزي، مصدر سابق، ١٥٦/٢.

(٢) ينظر: علي بن خلف، مصدر سابق، ص٣٨٢-٣٨٣، والقلقشندي، مصدر سابق، ٣٤٩/٨.

(٣) العميدي، مصدر سابق، ص٣٧٠.

الشكر في الفقرة السابقة لأسباب عامة ، فهنا يخصصه بذكر السبب المباشر له وهو ما كان من صمود أهالي دمشق في مواجهة الأعداء وتكاتفهم وتناصرهم في الدفاع عن مدينتهم ، فكانوا بذلك عونا للدولة على الخلاص منهم ، فيقول:" مثلكم يا أهل بلد كذا فإنكم صفوتم حين الموارد تكدرت واشتددتم حين المعاقد تفترت...وتناصرتم على المحاماة عن دياركم مرة بعد مرة... ووقفتم عند النزال كالجبال الرواسخ...حتى أصبحتم بنعمة الله إخوانا ولأولياء الدولة أنصارا وأعوانا"(١).

ثم يأتي بمعنى ثالث يعرض فيه استحسان الدولة لصنيعهم مما أكسبهم الشكر والإحماد " إذ لا يخلو أعوان السلطان من كفاه يستديم كفايتهم بتصويب مراميهم واستحسان مساعيهم وإحمادهم في تشميرهم"(٢) ، فيقول:" فجزاكم الله عن رضي أعمالكم جزاء المحسنين...حتى أكسبتم من إحماد أمير المؤمنين ما استقللتم معه كل كثير..." (٣).

ثم يتطرق إلى معنى آخر – كثيرا ما نجده ماثلا في رسائله – وهو التأكيد على يقظة الدولة وعلمها بما يدور في ولاياتها، فيستعرض طرفا مما حل بدمشق وأهلها من خراب ودمار بأيدي الأعداء ، الأمر الذي لم يكن خافيا عن الخليفة، ولعل في حرص العميدي على إظهار علم الدولة بمعاناة أهل دمشق ما يؤكد استحقاقهم الشكر مما يقوي موضوع الرسالة، فيقول:" ولقد تصور بحضرته ما دهمكم من المحنة التي هدمت بناكم وفصمت عراكم وأضعفت قواكم وعظمت بلواكم...وعلم علما يقينا...ما جرى عليكم من منازعي الحق وأعداء الدولة ومنابذي الصدق ومخالفي الملة حين تحالفوا على منازلتكم...وما استحلوه من تخريب الضياع والعقار وقطع الأشجار وقلع الثمار وهتك الأستار..." (٤).

(١) المصدر السابق، ص٣٧١.
(٢) القلقشندي، مصدر سابق، ٣٤٩/٨.
(٣) العميدي، مصدر سابق، ص٣٧١
(٤) العميدي، مصدر سابق، ص٣٧٢.

ويختم رسالته بتوجيه أهل دمشق إلى وجوب تقدير النعمة التي حصلت لهم بالخلاص من الأعداء ويحثهم على استدامة حسن الظن الذي يعتقده الخليفة فيهم ، ويعدهم على لسانه بتحسين أوضاعهم وإعمار بلدهم حتى تعود أحسن مما كانت عليه، فيقول:" فيجب أن تعظموا قدر النعمة فيما كشف عنكم من سحائب الظلم والظلمة...وتحققوا ما يعتقده أمير المؤمنين فيكم من ارتضائه لمذاهبكم...وتعلموا أن في نظرة من نظراته ما يأسو كلومكم ويزيل همومكم...ويحط عنكم فوادح الأثقال ويعيد بلدكم إلى أحسن ما كان عليه عمارة وحسنا ويبدلكم بتوفيق الله بعد الخوف أمنا"[١] .

٤-رسائل البشارات

وهي إحدى أشكال المكاتبات الديوانية في الدولة الفاطمية، الموجهة من الخلفاء إلى العمال والولاة في المواسم والأحداث السارة[٢].

ولقد اعتاد الخلفاء المسلمون على المكاتبة بسلامتهم في ركوبهم في المواسم الإسلامية (عيد الفطر وعيد النحر)، غير أن الخلفاء الفاطميين أضافوا إلى هاتين المناسبتين مناسبات أخرى عديدة مثل الركوب في غرة السنة الهجرية، وفي أول رمضان، وفي الجمعة الثانية والثالثة والرابعة منه، وغيرها من المناسبات التي أفاض القلقشندي الحديث عنها[٣]. ومن فضول القول أن لكل مناسبة موكبا خاصا، له طقوسه وترتيباته بدءا من لباس الخليفة وترتيب حاشيته المصاحبة له فضلا عن أنواع الزينة التي يكتسي بها المكان من بدء الموكب إلى محل نزوله.

(١) العميدي، مصدر سابق، ص٣٧٢-٣٧٣.
(٢) ينظر: البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، د.ط، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٣م)، ص٦٥.
(٣) ينظر: في وصف هذه المواكب . القلقشندي، مصدر سابق ، ٣١٨/٨ وما بعدها.

وللعميدي في هذا الموضوع رسالة قصيرة جدا كتبها إلى ابن مسلمة يذكر فيها ركوب أمير المؤمنين من القاهرة إلى مصر، ولعل قصرها يرجع إلى كونها أشبه بالسجل أو المنشور الذي يذاع في الناس كما صرح بذلك في ختام رسالته.

وقبل أن نستعرض المعاني القليلة التي جاءت فيها، تجدر الإشارة إلى أمرين، أولهما أن الكاتب لم يفض في وصف موكب الخليفة بالصورة التي نستطيع معها معرفة مناسبة الركوب على وجه الدقة، ولذا فمن المحتمل أن يكون الركوب في مناسبة مختصرة لا سيما أن الفاطميين اعتادوا على الركوب في مناسبات كثيرة(١)، ولكن وجود بعض العبارات في الرسالة يشي بأنها كتبت في مناسبة ركوب الخليفة غرة السنة الهجرية(٢)، وذلك قوله:" ووقع الإجماع بأن هذا اليوم المذكور أجل يوم أرخت فيه الأيام وعجز عن وصفه الأنام وتزينت بجماله بطون الدفاتر وتشرفت بذكره رؤوس المنابر"(٣).

والأمر الثاني الذي يضاف إلى عدم تحديده ماهية المناسبة هو عدم تعيينه اسم الخليفة واكتفائه بتلقيبه (أمير المؤمنين) ، ولكن بالنظر في نص الرسالة وذكره لطبقات الحاشية المصاحبة لموكبه يمكن للبحث أن يرجح أنه الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله؛ ذلك أن الكاتب وقد عدد صنوف الحاشية لم يذكر من بينهم طبقة الوزراء(٤)، ومن المعروف أن أول وزير فاطمي تلقب رسميا بهذه المرتبة هو علي

(١) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٥٩٥/٣.
(٢) يعد موكب غرة السنة الهجرية من المواكب العظام التي درج الخلفاء الفاطميون على الركوب فيها، كما جرت عادتهم على المكاتبة لعمالهم وولاتهم بسلامة ركوبهم، إذ يشكل الإعلان عن هذا اليوم ونشره في الناس أهمية كبيرة في حياة الدولة الفاطمية إذ به يعرف الناس مطلع السنة ومبدأها فيعتمدون عليه في تدبير شؤون حياتهم ومعاملاتهم وعباداتهم في صومهم وفطرهم وحجهم. ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٣٢٠/٨.
(٣) العميدي، مصدر سابق، ص١١٨
(٤) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص١١٨.

بن أحمد الجرجرائي(ت٤٣٦هـ) وكان ذلك في عهد الخليفة الظاهر، في الثاني عشر من شهر ذي الحجة عام ٤١٨هـ ، ولم تكن الدولة قبله مشتملة على وزير[١].

أما عن مضامينها فقد ألم الكاتب بعد افتتاحيتها بتحديد يوم كتابته الرسالة غير أن تحديده لم يكن ذا غناء إذ لا يمكن معه الوقوف على التاريخ بشكل دقيق، ذلك أنه أشار إلى اليوم فقط مجردا من التاريخ فضلا عن عدم تعيينه الشهر والسنة، فقال:" كتبت هذه الرقعة غداة يوم الجمعة الجامعة لشمل الدولة المؤذنة بالسعادة المتصلة بذكر ما تجدد أمس يوم الخميس "[٢].

ويعد رسم التاريخ مما تعارف الكتاب على كتابته في رسائلهم الديوانية، وإن كان موقعه في ختام الرسائل وليس في صدورها ، ويبدو أن موضوع الرسالة قد حتم عليه البدء به وإن لم يوفق في كتابته بشكل دقيق، يقول صاحب مواد البيان:" الرسم في الكتب الصادرة عن السلطان أن تؤرخ في أعجازها وأواخرها إلا أن يكون الكتاب في أمر يحسن الابتداء بذكره فيؤرخ في صدره باليوم كالحوادث العظام والفتوحات والمواسم الدينية"[٣].

ثم يصف باختصار موكب الخليفة من ذكر هيئة لباسه وطبقات الحاشية المرافقة له، مع ذكره أنواع الزينة التي خلعت على المكان من القاهرة حيث مقر الخلافة إلى انتهاء الموكب في مصر (الفسطاط)، فيقول:" ...من النعمة بركوب أمير المؤمنين في صبيحته من قصر الخلافة إلى مصر على الطريق الشارع لابسا من ملابس العز أفخره وأعلاه ومن نفائس الجوهر أزهره وأغلاه في طبقات الأولياء ووجوه الأشراف والأمراء والأعيان والعبيد والقواد وأصناف العساكر والأجناد... وقد

(١) ينظر: ابن الصيرفي، علي بن منجب، الإشارة إلى من نال الوزارة، تح:أيمن فؤاد سيد، ط١،(بيروت-القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م)، ص٦٩، وسيد، أيمن فؤاد، مرجع سابق، ص٢٥١.
(٢) العميدي، مصدر سابق ص١١٧.
(٣) علي بن خلف، مصدر سابق، ص٣٣٩.

كانت القاهرة المعزية إلى مصر من عدة أيام زينت بأنواع الحلي والحلل وبدائع الديباج والوشي والثياب المذهبة والأنماط الطهمية المستغربة حتى لم يبق من الأرض فيها شبر إلا وهو مزين ولا فتر إلا وهو مستبدع مستحسن"(١).

ثم ينتقل إلى معنى آخر وهو الإشادة بهذا اليوم " ووقع الإجماع أن هذا اليوم..." ، ثم يختم رسالته بمعنى أخير يوضح فيه الباعث على كتابتها وما الذي يتوجب على المرسلة إليه فعله، فيقول:" فبادرنا لهذه البشارة العظيمة إليك لتعرف قدر الموهبة فيما من الله تعالى بها له من السلامة ولحضرته الشريفة من الانتظام والاستقامة، وتذيع ما جرى في الخاصة والعامة إن شاء الله"(٢).

ولرسائل البشائر هذه أهمية من نواح عدة، فهي تصف مواكب الخلفاء وعاداتهم وتقاليدهم في خروجهم وركوبهم واحتفالاتهم(٣). كما أن لها بعدا سياسيا يتمثل في حملها خطابا غير مباشر لكل المعادين للدولة من خلال عرض القوى العسكرية المصاحبة لموكب الخليفة فتحذرهم من القيام بأي محاولة لإثارة الفتنة أو إحداث الشغب في البلاد ، وفضلا عن ذلك فإن هذا النوع من الرسائل يكشف عن الوضع الاجتماعي حيث الثراء العريض الذي تتمتع به الدولة الفاطمية مقارنة بالدول الإسلامية المعاصرة لها، والذي تحاول من خلال تلك الاحتفالات وما فيها من فخامة وأبهة تحاول فرض هيبتها وقوتها على العالم الإسلامي مضاهية بذلك الدولة العباسية، وفي هذا كله ما يدل على القيمة السياسية والحضارية والاجتماعية لرسائل العميدي.

وهكذا جاءت رسائل العميدي متنوعة الأغراض، متعددة المضامين ، ولعل هذا التنوع سمة من أبرز السمات الموضوعية لرسائله، ولعله في جزء منه يعود إلى

(١) العميدي، مصدر سابق، ص١١٧.
(٢) العميدي، مصدر سابق، ص١١٨.
(٣) ينظر: بدوي، أحمد أحمد، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، ط٢،(القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت)، ص٣٠٩، وسيد، أيمن فؤاد، ، مرجع سابق، ص ٣٧٠.

خصوصية العصر الفاطمي في مصر، من وجود ظاهرة التشيع على ما ظهر في افتتاحيات بعض رسائله، فضلا عن وجود إشارات متفرقة لها خلال الرسائل . كما يعود إلى توسع الفاطميين في المناسبات المختلفة التي اعتاد خلفاؤهم على الركوب فيها والاحتفال بها والمكاتبة بسلامتهم فيها ، ولعل من السمات البارزة كذلك ما وقفنا عليه من تكرار كثير من المعاني وخاصة في رسالتيه لحسان بن الجراح وصالح بن مرداس، وربما يكون اتفاق موضوعهما من التهديد والوعيد قد ألجأه إلى شيء من ذلك.

المبحث الثالث

البناء الفني للرسالة الديوانية

للرسائل الفنية على اختلاف أنواعها بناء شكلي فني ثابت تواضع عليه الكتاب، يتمثل في المقدمة والعرض والخاتمة، والحقيقة أن صورة الرسالة الديوانية المنقولة إلينا تظهرها في مستوى رفيع من الضبط والدقة والاكتمال ، حيث أن لكل جزء من أجزائها أصولا يجب إتباعها وقوانين لا بد من مراعاتها ، الأمر الذي يؤكد أن الرسالة الديوانية علم وفن مستقل له ضوابطه وأصوله، ويسير وفق منهج واضح ومحدد لا يقبل التهاون فيها أو الخروج عليها(١).

ولما كانت هذه الأجزاء الثلاثة هي المكونة لمعمار الرسالة وجدت اهتماما كبيرا من النقاد، فاستخلصوا ما ينبغي أن تستوفيه من شروط ومواصفات دون أن يغفلوا الشروط النفسية كذلك، وهذه الأجزاء تتآزر فيما بينها وتترابط ترابطا وثيقا يجعلها تبدو في آخر الأمر وحدة متكاملة البناء متماسكة الأجزاء. وسنقف عند مكونات الرسالة في مصادر النقد القديم، وأبرز رسومها وشروطها، مع بيان حظ رسائل العميدي منها، مما يبرز القيمة الفنية للكتابة الديوانية في العصر الفاطمي متمثلة في رسائل العميدي أحد أبرز كتاب ديوان الإنشاء به.

أ-المقدمة

وتعرف بصدر الرسالة والافتتاح وخطبة الكتاب والاستهلال، وهي جزء أساسي في بناء الرسالة، بل إنها أولى الأجزاء بعناية الكاتب واهتمامه وذلك لأنها" أول ما يطرق السمع من الكلام فإذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي

(١) ينظر: العريفي، سعد عبد الرحمن، مرجع سابق، ١٤٠٩.

إلى استماعه[١] ". ولقد حث النقاد الكتاب على الاهتمام بمقدمات رسائلهم" أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فأنهن دلائل البيان"[٢].

بل جعل بعضهم براعة المقدمات دليلا على فضل الكاتب ومهارته[٣]، ويمكن للكاتب تجويد مطلع رسالته بعدة طرق، منها أن يكون عليه جدة ورشاقة[٤]، أو يكون مبنيا على ما تحبه النفوس وتميل إليه بالفطرة السليمة، كالثناء على الله بالحمد، أو بتقديم السلام والتحية للمرسل إليه، أو بمدحه وتبجيله وتعظيمه أو الدعاء له، وكذلك تتحقق جودة المطلع بتضمينه ما يدل على غرض الرسالة ومضمونها[٥]. وإلى جانب ذلك لابد من مراعاة الاعتدال في مقدار المطلع من حيث الطول والقصر فلا يكون بالغ الطول ولا فاحش القصر قياسا إلى حجم الرسالة[٦]، وتعتمد المقدمات في طولها وقصرها على الكاتب ومدى معرفته بما يلزم كل نوع، فالأمور الخاصة لها مقدمات خاصة والأمور العامة لها مقدمات عامة، كما ينبغي له ألا يختصر في مواضع الإطناب ولا يطيل في مواضع الإيجاز، وعليه كذلك أن يتجنب ما يصعب فهمه من الكلام حتى يصيب غرضه من بداية الكلام [٧]. ولمقدمة الرسالة عناصر عدة اهتم النقاد بذكرها وذكر رسومها، وهي:

(١) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: احمد الحوفي وآخرون، د.ط، (القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت)، ٩٨/٣.
(٢) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي وآخرون، د.ط،(بيروت: المكتبة العصرية،١٤١٩هـ)، ص٤٣١.
(٣) ينظر: علي بن خلف، مصدر سابق، ص٨٦.
(٤) ينظر: ابن الأثير، ضياء الدين، مصدر سابق، ٩٦/١.
(٥) ينظر: المصدر السابق، ٩٦/٣.
(٦) ينظر: العريفي، سعد عبد الرحمن،"العريفي، مرجع سابق، ص١٤١٩.
(٧) ينظر: علي بن خلف، مصدر سابق، ص١٠٥، والقلقشندي، مصدر سابق، ٢٦٨/٦.

- **البسملة**

وهي أول ما تفتتح به الرسائل، وقد جرى الكتاب على كتابتها من باب التيمن بذكرها والتبرك بالابتداء بها؛ جريا على سنة الرسول ﷺ ومتابعة للصحابة رضوان الله عليهم(١) .

ولقد درج كتاب الفاطميين على تصدير مكاتباتهم بالبسملة، يقول صاحب مواد البيان:"فإن كانت المكاتبة من الخليفة فينبغي للكاتب أن يفصل من الدرج قدر ذراع ثم يستفتح بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في أول سطر"(٢)غير أن رسائل العميدي تخلو من من البسملة، ولعل ذلك سمة عامة فيما وصل إلينا من رسائل العصر الفاطمي(٣) الفاطمي(٣) ، ويرجع أحد الباحثين ذلك إلى اختصار المؤرخين وجامعي الرسائل ولا ولا علاقة للكتاب بها، إذ أن افتتاح الرسائل بالبسملة أمر معروف لا حاجه لتأكيده(٤). وأغلب الظن أن تجاوز البسملة في رسائل العميدي وغيره من كتاب الفاطميين لا يقتصر عليهم وحدهم، فهناك من كتاب القرن الرابع من نجدهم يتركون الافتتاح بها أحيانا(٥).

- **العنوان**

وهو العنصر الثاني الذي تبنى عليه المقدمات، والعنوان في اللغة بمعنى العلامة، والمقصود به ذكر اسم المرسل والمرسل إليه في مطلع الرسالة بعد البسملة. وترجع أهميته إلى دلالته على مرتبة الكاتِب من المكاتَب ، إذ الأصل في الكتاب أن

(١) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٢١٤/٦.
(٢) علي بن خلف، مصدر سابق، ص٣٢٧.
(٣) ينظر: النعيمات، محمد موسى: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي. (رسالة دكتوراة منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا،٢٠١٤م)، ص١٩٠.
(٤) ينظر : حسين، محمد كامل، في أدب مصر الإسلامية ، د.ط، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، د.ت)، د.ت)، ص٢٥٥.
(٥) شهاب الدين الحلبي، محمد بن سليمان، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تح/ أكرم عثمان، د.ط،(بغداد: دار الحرية، ١٩٨٠م، ص١٤٩.

لا يكون مجهولا بل يبتدئ باسم الكاتب ويثني باسم المكتوب إليه، وعلى هذا كتب النبي ﷺ، غير أن التفريق بين مرتبة المتكاتبين من الرؤساء والعظماء والأتباع والخدم دفعهم إلى تقديم اسم المكتوب إليه إذا أرادوا إجلاله وتكريمه وتأخير اسمه إذا أرادوا الحط من منزلته(١) .

ويرى صاحب مواد البيان أن العادة لدى الكتاب الفاطميين هي بيان مرتبة المتخاطبين من خلال العنوان، فالكتب التي تكون صادرة عن الأئمة الفاطميين يقال فيها من عبدالله ووليه فلان أبي فلان الإمام كذا أمير المؤمنين، وإذا كان المخاطب أو المرسل إليه من الطبقة العليا بدأ بنعته ثم بكنيته ثم باسمه واسم أبيه، وإن كان المخاطب من الطبقة السفلى فإنه يقال إلى فلان بن فلان، وقد يخلو العنوان من ذكر الكنية ويكتفى بذكر الاسم على الرغم من جلالة المخاطب(٢). وتضاف إلى الدلالة الأولى للعنوان دلالته كذلك على الغرض الذي كتبت الرسالة من أجله(٣).

وبالنظر إلى رسائل العميدي نجدها تخلو من العنوان بالصيغة المذكورة سابقا، ويظهر أن التزامها كان في المكاتبات القديمة، حيث وضح ابن المدبر مدى الاختلاف الذي أجري على صدور الرسائل فيقول:" أما صدور السلف فإنما كانت من فلان بن فلان إلى فلان...حتى استخلص الكتاب هذه المحدثات من بدائع الصدور...وجروا على تلك السنة الماضية إلى عصرنا هذا في كتب الخلفاء والأمراء"(٤).

(١) ينظر: علي بن خلف، مصدر سابق، ص٣٣٠-٣٣١.
(٢) ينظر: علي بن خلف، مصدر سابق، ص٣٣٢.
(٣) ينظر، الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور، إحكام صنعة الكلام، تح: محمد رضوان الداية، د.ط،(بيروت:دار الثقافة،١٩٦٦م)، ص٥٢.
(٤) أبو اليسر، إبراهيم بن محمد الشيباني، الرسالة العذراء، تح/زكي مبارك،د.ط، (القاهرة: د.ن، ١٩٣١م) ص٣٢٣، دعاء محمد، "الرسائل الديوانية في العصر العباسي"، مجلة الأندلس، مج٤، ع١٥،جامعة حسيبة بن بوعلي،٢٠١٩م ، ص١٥٩.

ويأتي العنوان – من باب التجوز في التسمية– في رسائل العميدي متصدرا متوسطا أعلى الرسالة كما هو الحال في مكاتباتنا في العصر الحديث. وأكاد أجزم أن هذا العنوان المتصدر رسائله من عمل ناسخ الرسائل أو جامعها ، ولعل مما يدل على ذلك وجود عبارة (وله كتاب) في أول العبارة، ولقد جاءت عناوين رسائله على النحو التالي:

١–وله كتاب وعيد إلى حسان بن جراح لما نهب الرملة وخالف الدولة.

٢– وله كتاب إلى صالح بن مرداس لما ورد الشام ونهب ضياعها في الوعد والوعيد والتوبيخ والتفنيد وهي مثل رسالة حسان.

٣– وله كتاب نسخة فتح الشام وقتل صالح بن مرداس وهزيمة العرب قيسيهم وطائيهم بشرح الحال إلى صديق له بدمشق.

٤–نسخة إحماد لأهل دمشق لما صبروا وجدوا في قتال الأعداء وجاهدوا.

٥— وله رقعة كتبها إلى ابن مسلمة وهو بالشام يذكر ركوب أمير المؤمنين من القاهرة إلى مصر وبنها على الشارع وترتيبها على جناح طائر.

ولعلنا نلاحظ دلالة العناوين على موضوعها ، فالأولى والثانية في التهديد والوعيد لمخالفي الدولة، والثالثة في البشارة بفتح الشام والقضاء على الأعداء، والرابعة في الإحماد ، والخامسة في البشارة بسلامة ركوب أمير المؤمنين، وهذا الموضوع الأخير مما اختصت به الديار المصرية كما يرى القلقشندي[١].

كما نلاحظ خلو العناوين من ذكر اسم المرسل ولكن على الرغم من ذلك يفهم عند قراءة الرسائل أنها صادرة من ديوان الخلافة، فالعميدي بصفته كاتبا من كتاب

(١) ينظر: مصدر سابق، ٣/٥٧٠.

ديوان الإنشاء في الدولة الفاطمية يكتب على لسان الخليفة أو بأمر منه، وتأتي الإشارة إليه بلقب (أمير المؤمنين)، دون تحديد اسمه(١).

أما المرسل إليه فقد ذكر في العنوان حيث وجهت الأولى إلى(حسان بن جراح) والثانية إلى (صالح بن مرداس)، غير أن من الملاحظ مخاطبة العميدي لهما – سواء في العنوان أو في متن الرسالة– باسميهما مجردين من أي لقب أو كنية مما يدل على تدني مرتبتهما واعتبارهما من الطبقة السفلى، مع كونهما زعماء على قبائلهم ، إلا أنه لم يحفل بذلك ، وهو الكاتب الديواني الذي ينطق بلسان الخليفة، ويمتثل لرسوم المكاتبات الرسمية المتعارف عليها في مخاطبة هؤلاء، يقول القلقشندي:" وقد أمرنا بالإغلاظ عليهم ولا ينبغي لنا أن نكنيهم ولا نرفق بهم ولا تلين لهم قولا ولا تظهر لهم ودا ولا مؤالفة"(٢).

وقد نص عنوان الرسالة الثالثة على أنها موجهة إلى صديق له، دون أن يُصرح باسمه، إلا أن موضوع الرسالة يجعل البحث يميل إلى أنها موجهة إلى شخصية اعتبارية في الدولة وفي الشام تحديدا، ولعله أحد الولاة هناك، ولا يمنع ذلك من كونه صديقا له، حيث عرف عن العميدي علاقاته الوطيدة التي تربطه بكبار رجالات الدولة.

أما الرسالة الرابعة فقد نص عنوانها على ذكر اسم المرسل إليه وهم أهل دمشق خاصة ، بينما وجهت الرسالة الخامسة إلى شخص يكنى بأي مسلمة ولم يستبن للبحث شخصيته، ولكن أهمية موضوع الرسالة –كما اتضح سابقا– إضافة إلى ما في خاتمتها من أمره له بإذاعة الخبر ونشره في الخاصة والعامة يرجحان علو مرتبته مع أن صيغة مخاطبته (بالكنية فقط) توهم خلاف ذلك.

(١) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص ١١٧، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩٩، ٣٠٨،٣١٢،٣٧١، ٣٧٣.
(٢) مصدر سابق، ٤٠٧/٥.

- **التحية**

تعد التحية أو (السلام) من عناصر المقدمة ، وقد اعتاد الكتاب على ابتداء مكاتباتهم بها؛ لما لها من أهمية في تأليف القلوب[١]. وهي تأتي بصيغ عدة، منها: (سلام عليك) و(سلام عليكم)، و(السلام عليكم). أما عن ترتيبها فقد جرى أكثر الكتاب على الإتيان بها بعد (العنوان) مباشرة وقبل البعدية (أما بعد) و(الحمدلة) و(التصلية).

وكما خلت رسائل العميدي من البسملة خلت كذلك من التحية والسلام ، ويمكن أن يعلل لخلو رسالتيه الموجهتين إلى حسان بن الجراح وصالح بن مرداس، بأن السلام يدل في معناه على الأمن والسلم والطمأنينة، وهذا المعنى لا يستحقه أمثال هؤلاء الذين تعدهم الدولة من الخارجين عليها والمخالفين لها، بل يغلب على الظن أنها تنظر إليهم بعين الاحتقار والازدراء ، فتترك تبجيلهم وتتجنب ترفيعهم ، فلا تخاطبهم بالسلام بل بما يخاطب به الكفرة، ولعل مما يعضد ذلك ما جاء في ختام رسالته لحسان:" السلام على من اتبع الهدى"[٢]، والمكاتبة بهذه الصيغة محاكاة وتقليد لسنة النبي ﷺ في مراسلاته لغير المسلمين[٣]، وكذلك نعته لابن مرداس وأتباعه بالكفار مما يُلمح من توظيفه للآية القرآنية في التهديد والوعيد، فيقول:" وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار"[٤]. كما أن في ترك السلام عليهما ما يدل على التباين العاطفي والفكري والمذهبي بين المرسل والمرسل إليه، وأخيرا قد يشي الإتيان به بضعف الدولة ، فيقلل ذلك من هيبتها ليس فقط في نظر المخالفين بل في نظر

(١) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٦/٢٢٠.
(٢) العميدي، مصدر سابق، ص٢٨٣.
(٣) ينظر: الكلاعي، مصدر سابق، ص٨٨.
(٤) سورة الرعد، الآية(٤٢)، والعميدي، مصدر سابق، ص٣٠٠.

الرعية كذلك، وهذا مالا يريده العميدي وهو الكاتب الديواني الذي من أهم صفاته أن يكون على دين الملك ومذهبه(١).

- **الحمدلة (التحميد)**

لما كان الحمد مطلوبا في أوائل الأمور طلبا للتيمن والتبرك به فقد اصطلح الكتاب على الابتداء به في كثير من مكاتباتهم(٢). بل يعد الحمد من أفضل الافتتاحات، وأعلى مراتب الابتداآت(٣)، ولقد علل صاحب الصناعتين لبدء الكلام بالحمد، فقال:" لأن النفوس تتشوّف للثناء على الله تعالى، والافتتاح بما تتشوّف النفوس إليه مطلوب"(٤). وعادة ما يأتي التحميد قبل البعدية وأحيانا يأتي بعدها مقرونا بها، وقد يرد التحميد قبل البعدية وبعدها في سياق معين(٥). و قد يؤتى بالحمد بعد البسملة تأسيا بكتاب الله(٦).

وقد خلص بعض الباحثين إلى محافظة الكتاب الفاطميين في جل رسائلهم على الحمد " فالرسائل الفنية على اختلافها وإن خلت من البسملة أو العنوان أو التحية فإنها لم تخل من الحمد (٧). وقد جرت العادة في رسائلهم على الإتيان بالحمد بعد البسملة والعنوان والتحية والبعدية. وقد يأتي الكتاب بالحمد مرة واحدة في مستهل رسائلهم، وقد يأتون به أكثر من مرة، ومنهم من يبالغ في الحمد، والأمر مبني على طول الرسالة وقصرها(٨).

---

(١) ينظر: ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل، مصدر سابق، ص٩
(٢) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق،٦/٢١٥.
(٣) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٦/٣٢٠.
(٤) أبو هلال العسكري، مصدر سابق، ص٤٩٦.
(٥) ينظر:الفلاح، قحطان صالح"الترسل السياسي في العصر العباسي الأول"، مجلة جذور،مج١٠، العدد٢٣،النادي الأدبي الثقافي، جدة،٢٠٠٦م، ص٦٦.
(٦) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٦/٢١٦.
(٧) ينظر: النعيمات، محمد موسى، الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، مرجع سابق، ص١٩٤-١٩٥.
(٨) ينظر: المرجع السابق، ص١٩٤.

أما رسائل العميدي الديوانية فهي تخلو في الغالب من هذا العنصر، وقد علل القلقشندي لإغفال بعض الكتاب للحمد في افتتاحيات رسائلهم بقوله :" أما سائر المكاتبات والولايات المفتتحة بغير الحمد، فإنما حذف منها الحمد استصغارا لشأنها، إذ كان الابتداء بالحمد إنما يكون في أمر له بال"(١).

وللعميدي رسالة واحدة يستهلها بالحمد، ولعل موضوع الرسالة وأهميته قد حتمتا عليه الاستفتاح به، حيث أن موضوع الفتح والبشارة به من **أعظم المكاتبات خطرا، وأجلّها قدرا،** ويأتي بالتحميد –بعد العنوان مباشرة – ويطيل فيه نسبيا، ثم إنه يكرر الحمد أكثر من مرة ، مع اختلاف الصيغ، فيقول في مستهل الرسالة: "الحمد لله(٢)..."بصيغة المصدر، وبعد أن ينتهي من التحميد الأول يأتي بالتحميد مرة ثانية ثانية بصيغة أخرى وهي الفعل المضارع، فيقول: (يحمده أمير المؤمنين) (٣)، ثم يكرر الحمد مرة ثالثة قبيل الخاتمة بصيغة المصدر كذلك، فيقول:"فالحمد لله..." (٤). (٤).

ولعل التحميد بهاتين الصيغتين من الصيغ النمطية التي اعتاد الكتاب الفاطميون على استخدامها(٥). كما أن في تكراره في الرسالة الواحدة دلالة على أنها صادرة على لسان الخليفة، فيكرر الحمد زيادة في الثناء على الله، وإعلاء من شأن الكتاب الذي يكتبه(٦). و يذهب أحد الباحثين إلى أن مجي الحمد بصيغة المصدر يدل على أن الكاتب وعلى لسان الخليفة يحمد الله نيابة عن الأمة بصفته

(١) القلقشندي، مصدر سابق، ٢١٦/٦.
(٢) العميدي، مصدر سابق، ص٣٠٨.
(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٤) المصدر السابق، ص٣٢٠.
(٥) ينظر: النعيمات، محمد موسى، الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، مرجع سابق، ص١٩٦.
(٦) ينظر : النعيمات، محمد موسى، ابن الصيرفي كاتبا،(رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا،٢٠٠٦م)، ص١٢٤.

الإمام في الاعتقاد الفاطمي[١]. غير أن البحث يرى أن القول بذلك فضلا عن تعميمه على جميع المكاتبات الفاطمية حكم لا يستقيم، فعلى الرغم من اختلاف معتقد الفاطميين في الإمامة (الخلافة) واختلافهم فيه عن أهل السنة [٢]؛ إلا أن من عادة الكتاب في جميع العصور الأديبة الإتيان بالحمد بهذه الصيغة في مكاتباتهم، وعلى أية حال فإن الافتتاح بالتحميد وتكراره في الرسالة الواحدة مما يستجاد في كتب الفتح خاصة[٣].

ولوجود الحمد في ابتداءات الرسائل دلالتان، الأولى أن الرسالة تحمل خطابا ذا قيمة كمخاطبة الملوك أو الرعية في أمور الدين والدولة، والثانية دليل على كثرة النعم التي توجب الحمد، وربما في غير موضع من الرسالة الواحدة [٤].ولذا فإن رسالة العميدي بما تضمنته من خبر الفتح و انتصار الدولة والقضاء على المعادين لها والخارجين عليها من أجل النعم التي تستحق الحمد والشكر والثناء على الله بحصولها[٥]. إضافة إلى أن المكاتبة بهذا الخبر وإذاعته في الناس على لسان الخليفة يشكل أهمية كبيرة للدولة الفاطمية، وذلك لتعزيز قوتها وبسط نفوذها وسلطانها على البلاد. ولعل في إطالة الرسالة دلالة على الابتهاج بهذا النصر الذي حققته الدولة على أعدائها، فلكل الاعتبارات السابقة ناسب أن تبدأ الرسالة بالحمد والثناء على الله، بل وتثني به وتختم.

ولما كان الفتح من أجل النعم ناسب أن تكون صيغة التحميد كذلك مشتقة مما يدل عليها، وفي هذا دلالة على براعة المترسل وإجادته صناعة الكتابة، حيث يلاءم

(١) ينظر: النعيمات، محمد موسى، الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي ، مرجع سابق، ص١٩٥.
(٢) ينظر: سيد، أيمن فؤاد، مرجع سابق، ص٢٤٨.
(٣) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٣٢٠/٦.
(٤) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٣٨٧/٦.
(٥) العميدي، مصدر سابق، ص٣١٠.

بين التحميد وغرض الرسالة[١]، وقد أشاد به بعض النقاد:" ومن الحذاقة في هذا الباب أن تجعل التحميدات في أوائل الكتب السلطانية مناسبة لمعاني تلك الكتب"[٢]، وهذا ما نجده في رسالة العميدي حيث يحمد الله تعالى المنعم، فيقول:" الحمد لله المنعم على عبادة مبديا ومعيدا والمبدع لهم في كل وقت صنعا جديدا..." [٣]، مع ملاحظة أن اسم المنعم ليس من أسماء الله الحسنى بل إن من صفاته سبحانه ذي الإنعام، ونعمه تعالى دائما متجددة على عباده، ومن أجل النعم كما يرى الكاتب هنا نعمة الفتح؛ لأنها:" نعمة أيدت الدين بعدما هم بنيانه أن يتزعزع"[٤]. ولعل العميدي في تحقيقه هذه المواءمة يسير على نهج من سبقه من الكتاب وخاصة ابن عبد كان حيث كانت له عادة مشهورة[٥]، بل يذهب بعضهم إلى القول " إذا نظرنا إلى كتاب الرسائل في العصر الفاطمي نراهم يسيرون على نهج ابن عبد كان ويتبعون أثره في الكتابة"[٦].

- **التشهد**

يقول القلقشندي:"وقد جرت عادة المتأخرين بالإتيان بالتشهّد بعد التحميد في الخطب، ويكون تابعا لصيغة التحميد، فإن كان قد قيل يحمده أمير المؤمنين، قيل بعده ويشهد"[٧]. وفي رسالة الفتح السابقة يأتي العميدي على هذا الرسم، فيقول:" يحمده أمير المؤمنين ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله"[٨].

---

(١) ينظر: الكلاعي، مصدر سابق، ص٦٦.
(٢) ابن الأثير، ضياء الدين، مصدر سابق، ١٠٨/٣.
(٣) العميدي، مصدر سابق ، ص٣٠٨
(٤) العميدي، مصدر سابق، ص٣١٠.
(٥) ينظر: الكلاعي، مصدر سابق، ص٦٧. وابن عبد كان ، هو محمد بن عبدالله، المشهور بابن عبد كان(ت٢٧٠هـ)، من كبار الكتاب في عصر الدولة الطولونية، كتب لأحمد بن طولون وابنه خمارويه، وغيرهما.ينظر: الصفدي، مصدر سابق، ٣١٥/٣.
(٦) حسين، محمد كامل، في أدب مصر الإسلامية ، مرجع سابق، ص٩٦.
(٧) مصدر سابق، ٢١٧/٦.
(٨) العميدي، مصدر سابق ، ص٣٠٩

- **(التصلية) والسلام**

أما الصلاة على النبي ﷺ فهي مطلوبة في أوائل الكتب من باب التيمن والتبرك مثلها مثل الحمد "فإذا أتي بالحمد في أوّل كتاب، ناسب أن يؤتى بالصلاة على النبيّ ﷺ في أوّله، إتيانا بذكره بعد ذكر الله تعالى"(١) . وكذلك يتبع التصلية بالسلام على النبي ﷺ ولا يقتصر على أحدهما(٢).

وقد جاء العميدي بالصلاة على النبي ﷺ بعد الحمد مع الإطالة فيها وعطف عليها السلام على رسول الله فيقول في رسالة الفتح:"فصلى الله عليه صلاة دائمة قائمة... ، وسلم عليه"(٣) ، وهو لا يكتفي بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ من باب التيمن والتبرك فحسب، بل يضيف إليهما ما يكسبها أهمية دينية وسياسية عند الفاطميين، إذ يتبع السلام على النبي ﷺ السلام على علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٤)، بل يطنب في ذكر صفاته ومناقبه، ثم يتبع السلام عليه بالسلام على سلالته الطاهرة وذريته والأئمة الأخيار، فيقول:" ...وعلى من هو من نبعته والسابق إلى بيعته والصريح في نسبه والمجاهد في سبيل ربه... علي بن أبي طالب وعلى سلالته العترة الطاهرة وثمرة الشجرة الناضرة من ذريته الأئمة الأخيار الطاهرين الأبرار"(٥)، ولعل في وجود هذه اللواحق بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ما يدل على ظهور المعتقد الفاطمي في رسائل كتابهم، حيث كانوا يحرصون على تأكيد صحة نسبهم من النبي ﷺ وخاصة بعد أن شكك العباسيون فيه(٦).

---

(١) القلقشندي، مصدر سابق، ٢١٨/٦

(٢) ينظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) العميدي، مصدر سابق، ص٣٠٩.

(٤) ينظر: النعيمات، محمد موسى، الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي، مرجع سابق، ص١٩٧.

(٥) العميدي، مصدر سابق، ص٣٠٩.

(٦) ينظر: حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطميةن ص٣٣٩، و النعيمات، محمد موسى، الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي، مرجع سابق، ص١٩٨.

- **عبارة (أما بعد)**

وهي من العناصر الشكلية التي تسهم في بناء المقدمات، وتعرف بالبعدية وبفصل الخطاب وقد استعملها العرب قديما في خطبهم ورسائلهم وتوارثها الخلف عنهم. وقد عدها بعضهم من فواتح المكاتبات(١).

وتعرف كذلك بعبارة التخلص ؛ إذ أن الكاتب بعد أن ينتهي من مقدمة رسالته لابد له من وسيلة يتخلص بها إلى المضمون، فكانت عبارة (أما بعد) من أشهر أساليب التخلص، وقد أخرجها بعض الباحثين من المقدمة وجعلها عنصرا ثانيا بعد المقدمة وقبل المضمون (٢)، بينما يذهب آخرون إلى أن بدء الرسائل بعبارة (أما بعد) لا يدل على عدم وجود عناصر المقدمة الأخرى في الأصل، بل يؤكد وجود هذه العناصر أو بعضها، إنما أغفل تدوينها أو حذفت لتواتر صيغها المتقاربة في المعني مما أضحى معروفا عند جمهرة الناس، واثبات (أما بعد) إشارة إلى وجود المقدمة في الأصل، كما هي إشارة إلى سلامة مضمون الرسالة من الحذف أو البتر وهو المقصود الذي قامت لأجله المكاتبة(٣)، وهذا ما يميل إليه البحث مع إفادتها للتخلص من عناصر المقدمة الأخرى قبلها إلى مضمون الرسالة بعدها .

وفي رسائل العميدي تأتي عبارة (أما بعد) في مواضع مختلفة ومتعددة ، حيث يستفتح بها رسالتي التهديد والوعيد دون أن يأتي بأي مقدمات قبلها، فيقول من رسالته لحسان بن جراح:" أما بعد، فإن نعم أمير المؤمنين وإن كانت فائضة على أولياء دولته..." (٤). ومثلها رسالته إلى صالح بن مرداس يقول في افتتاحيتها:" أما بعد، فإن الشكر عقال النعمة... (٥)".

---

(١) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٢٢١/٦.
(٢) ينظر النعيمات، محمد موسى: ابن الصيرفي كاتبا، مرجع سابق، ص١٢٥.
(٣) ينظر :الفلاح، قحطان صالح، مرجع سابق، ص٦٨.
(٤) العميدي، مصدر سابق، ص٢٦٧
(٥) العميدي، مصدر سابق، ص٢٨٤

ويظهر أن الاستفتاح بـ (أما بعد) له أصل قديم في المكاتبات إذ أن رسوم الرسائل تختلف من زمن لآخر، يقول الكلاعي:" ونظرت في صدور الرسائل واستفتاحها فوجدتها تختلف، فكانوا في الزمان الأول يكتبون في صدور رسائلهم أما بعد...ورأيته أكثر ما تستعمله الكتاب في المخاشنة والعتاب"[١]. ولعل مما سوغ للعميدي البدء بها مباشرة الحالة النفسية للمرسل وموقفه من المرسل إليه "كأن يكون عدوا أو مماحكا "[٢] ، ولا ريب في أن المرسل (الخليفة) حانق غاضب من أفعال هؤلاء ، بل أن الدولة –كما قلنا سابقا– تعدهم من الخارجين عن الملة، فكان من المناسب أن تستفتح مخاطباتهم بـ (أما بعد)، بل هناك من النقاد من يوجب الاستفتاح بها في مكاتبة الكفرة[٣] . إلى جانب أن موضوع الرسالة يمكن أن يكون مسوغا للبدء بها، فقد جاءت الرسالتان في التهديد والوعيد ، ولعل ذلك ما عناه الكلاعي من المخاشنة والعتاب في نصه السابق.

وتأتي عبارة (أما بعد) باعتبارها صيغة للتخلص في رسالة البشارة بفتح الشام، حيث ترد بعد المقدمة بما فيها من العنوان والحمد والتشهد والتصلية، يقول القلقشندي:" وحيث افتتحت المكاتبة بالحمد لله كان التخلّص منها إلى المقصود (بأما بعد)" [٤]. وعلى هذا الرسم جاءت رسالة العميدي، فيقول: "الحمد لله المنعم...يحمده أمير المؤمنين...ويشهد أن لا إله إلا الله....فصلى الله عليه صلاة دائمة...وسلم عليه وعلى...علي بن أبي طالب... أما بعد، فإن نعم الله تعالى ذكره على عباده..." [٥]، وتعد هذه الرسالة هي الوحيدة التي احتفظت بأكبر قدر من عناصر المقدمة ورسومها. كما ترد العبارة أسلوبا للتخلص في رسالة الإحماد، فيقول

(١) مصدر سابق، ص٥٨.
(٢) الفلاح، قحطان صالح، مرجع سابق، ص٦٨.
(٣) ينظر: الكلاعي، مصدر سابق، ص٨٥.
(٤) مصدر سابق، ٣٢٠/٦.
(٥) العميدي، مصدر سابق، ص٣٠٩-٣١٠.

بعد الافتتاحية:"... أما بعد، فإن أحق الرعايا بأن تفاض عليهم ملابس الإنعام..."(١).

وبعد، فلعل كل ما تقدم من عناصر يمثل الصورة النموذجية لمقدمة الرسالة في بنيتها الشكلية، غير أن الكاتب باستطاعته أن يتخفف منها أو يتحلل من التزامها كلها، فيسقط بعض العناصر، وقد يقدم عنصرا على آخر، وقد يأتي بافتتاحية أخرى كأن تكون آيات قرآنية أو بأبيات شعرية. وقد يترك ذلك كله ويهجم على موضوعه مباشرة دون أي مقدمات، وهذا ما نجده في رسائل العميدي حيث افتتح رسالة الإحماد بآيات قرآنية(٢)، ولعل في بدء الرسالة الديوانية بالقرآن الكريم ما يصحح الوهم الذي وقع فيه بعض الباحثين من كون الافتتاح بالقرآن الكريم مقتصرا على الرسائل الإخوانية لكتاب العصر الفاطمي(٣).

ويستهل العميدي رسالته في ذكر ركوب أمير المؤمنين بافتتاحية مغايرة لما سبق حيث يبدأها بصيغة (كتبت)(٤)، وتعد هذه الصيغة أسلوبا من أساليب الافتتاح، وإن كان الأصل فيها أن تكون بصيغة الاسم (كتابي)(٥)، في حين أن بعض النقاد يعدها أسلوبا من أساليب التخلص(٦). ويبدو أن هاتين الصغتين أكثر ورودا في الرسائل الإخوانية، حيث " درج كتاب القرن الرابع للهجرة على استهلال رسائلهم بصيغ (كتابي) و(كتبت)، وخاصة في رسائل الشكوى والعتاب"(٧). والمستقرئ

(١) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص٣٧٠.
(٢) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص٣٧٠.
(٣) ينظر: النعيمات، محمد موسى، الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي، مرجع سابق، ص١٩٩.
(٤) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص١١٧.
(٥) ينظر: القلقشندي ، مصدر سابق، ٣٢١/٦.
(٦) ينظر: الكلاعي، مصدر سابق، ص٦٩،و النعيمات، ابن الصيرفي كاتبا، مرجع سابق، ص١٢٥.
(٧) توتو، يوسف محمد"الخصائص البنائية للرسائل الأدبية عند كتاب القرن الرابع"، مجلة جامعة السلام، ع٤، ٢٠١٧م، ص١٧١.

لمجموع رسائل العميدي يلحظ كثرة ورودهما في افتتاحيات رسائله الإخوانية، فلعله نقل الافتتاح بإحدى هاتين الصيغتين إلى رسائله الديوانية.

ولعل مما سبق يتبين لنا مدى احتفال العميدي بمقدمات رسائله حيث وفر لها قدرا من التنوع في صور الاستهلال مع مراعاة مناسبتها لغرض الرسالة وشخصية المرسل إليه، وهو بهذا التنوع لا يخرج عن خصائص كتاب القرن الرابع الهجري، إذ كان التنوع في الاستهلال من أبرز خصائصهم[١] .

ب- العرض

وهو أهم جزء في البناء الفني للرسالة ، إذ أنه يشتمل على الموضوع الذي كتبت الرسالة من أجله، وفيه يقدم الكاتب موضوعه ويبسط القول فيه بالشرح والتفصيل والوصف حسب مقتضى الحال والمقام بما يحقق لرسالته الغاية التي يسعى إليها. معتمدا في ذلك كله على ثقافته الديوانية المتنوعة وقدراته البلاغية والأسلوبية على خلاف ما عليه الحال في كتابة المقدمة والخاتمة التي يتبع فيها الكاتب في الغالب تقاليد موروثة ومتداولة عند أغلبية الكتاب، وخاصة كتاب الرسائل الديوانية.

ولقد بث النقاد في مصنفاتهم بعض التوجيهات فيما يخص غرض الرسالة ومضمونها من ضرورة تحري الدقة في اختيار الألفاظ ، نظم الكلام، وبناء الجملة، مع الاهتمام بالألفاظ والمعاني وما يتوجب فيها من ضرورة مراعاة أحوال المخاطبين، إذ أن لغة الرسالة وأسلوبها ونوعية الألفاظ والمعاني تختلف بحسب شخصية المرسل إليه[٢]، وذلك كله مما يحتاج دراسة تحليلية مستفيضة مما لا يضطلع به هذا البحث.

---

(١) ينظر: مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، د.ط، (بيروت: المكتبة العربية، د.ت)، ١٣٤/١.

(٢) ينظر: العريفي، مرجع سابق، ص١٠٤٩.

ولعل مما يحسن الوقوف عليه هنا ما يتعلق بوحدة الموضوع وترتيبه على نحو معين لتبدو أجزاء الرسالة محكمة البناء يشد بعضها بعضا، وعليه سيكون الحديث في محورين، أولهما يفضي إلى الآخر.

- **وحدة الموضوع**

ينظر لوحدة الموضوع ضمن إطار الرسالة الواحدة، فقد تتناول موضوعات عدة، وقد تكون في موضوع واحد، غير أن الكاتب يشعب القول فيه فيطنب ويسهب في الشرح والتفصيل والوصف ويأتي بمضامين وأفكار جزئية وكل ما هو بسبيله في إثراء مضمونه في إطار الموضوع الواحد، وهذا النوع هو ما تتحقق فيه الوحدة الموضوعية.

وبناء على ما سبق يكون التفاوت في مقدار حجم الرسالة من حيث الطول أو القصر. ولقد أشار النقاد إلى أن لكل من الإطناب والإيجاز مواضعه الداعية إليه واللائقة به، بل أكدوا أنه لا غنى عنهما في جميع أنواع الكلام، يقول العسكري:" الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام، ولكلّ واحد منهما موضع؛ فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه"(١).

والمستقرئ لرسائل العميدي يلحظ توفر الوحدة الموضوعية بها، حيث استقلت كل منها بموضوع واحد، فجاءت في التهديد والوعيد، والفتح، والإحماد، والبشارة بسلامة ركوب الخليفة الفاطمي على ما تم بيانه سابقا، وإن كانت تختلف بعد ذلك في المضامين الفرعية والأفكار الجزئية التي عرض لها الكاتب داخل الموضوع الواحد قلة أو كثرة، وعلى هذا تفاوتت رسائله ما بين الطول المستفيض، والمتوسط المعتدل، والموجز المختصر.

(١) العسكري، أبو هلال، مصدر سابق، ١٩٠/١.

وتفاوت الرسائل طولا وقصرا يمكن أن يكون مرده إلى اعتبارات عدة، لعل من أهمها: موضوع الرسالة، وشخصية المرسل إليه، والغاية التي يسعى الكاتب إلى تحقيقها.

أما موضوع الرسالة فهناك إشارات في كتب النقد وعند أرباب صناعة الإنشاء تدل على استحسانهم الإطالة في بعض الموضوعات كالتهديد والوعيد؛ وذلك لحاجة تلك المكاتبات إلى الاستقصاء والبسط والتفصيل، لتحدث الأثر المطلوب في نفوس المخاطبين، "الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة، والفتوح الجليلة، وتفخيم النّعم الحادثة، والترغيب في الطاعة، والنّهى عن المعصية، سبيلها أن تكون مشبعة مستقصاة، تملأ الصدور، وتأخذ بمجامع القلوب"(١)، ولذا رأينا العميدي يسهب ويطنب في الرسالة التي وجهها إلى حسان بن الجراح وتلك التي وجهها إلى ابن مرداس ، حيث تجيء كل منهما في نحو سبع عشرة صفحة من النص المطبوع، ولقد أفضنا في مبحث سابق الحديث حول مضامينها الكثيرة التي عرض لها الكاتب، فضلا عن إلحاحه على أفكار معينة ، ومما نسجله له هنا هو تنويعه في طريقة العرض، بغية التأثير في نفوس المخاطبين وبما يبعد السأم والملل عنهم(٢). فطبيعة الموضوع إذن حتمت عليه الإطالة، إلى جانب مراعاته للغاية التي يرمي إلى تحقيقها من وراء الرسالة، من الرغبة في إقناع هذين الخارجين بالعدول عن العصيان والعودة إلى الطاعة، وتهديدهم- كذلك- بما يلقي الرعب في قلوبهم حال استمرارهما في المخالفة والعناد .

ويشترك مع الموضوع السابق في البسط والإطناب موضوع الفتوحات على ما أشار إليه أبو هلال العسكري في نصه السابق ، بل نجد من النقاد من يوجب

(١) المصدر السابق، ١/١٩٠.
(٢) ينظر: العميدي، مصدر سابق، ص٢٨٨.

الإطالة فيه" وهذه الكتب مما يجب بسطها والإطناب فيها"[١]، ولذا تجيء رسالة الفتح في نحو أربع عشرة صفحة من النص المطبوع، حيث يسهب في التحميدات، ولا يخفى هنا حرص الكاتب على أن تحمل رسالته طبيعة المذهب الفاطمي، وليس أنسب من التحميد مكانا له، ثم يستفيض في ذكر الفتح مشيدا به، ثم يفصل في مقدماته وما يكون من تقصي أخبار العدو ورصد تحركاته وكشف مخططاته، وبعد ذلك يصف المعركة بدقة متناهية ويذكر ما أسفرت عنه من نتائج، من نصر للدولة وهزيمة للقبائل المعارضة وقتل زعيم إحداها وهروب الزعيم الآخر، ثم يصف أتباعهم وانقسامهم ما بين قتلى وأسرى، ولعل مما تجدر الإشارة إليه هنا هذا التسلسل المنطقي لمضامين الرسالة وتتابع فقراتها مما نحن بسبيل الحديث عنه بعد قليل.

ومن الموضوعات ما يحسن فيه التوسط والاعتدال كموضوع الإحماد ، ذلك أن الغرض منه على مايستنبط من كلام القلقشندي هو إقرار المحسن على إحسانه[٢]، ولذا جاءت رسالة الإحماد في نحو ثلاث صفحات وربع الصفحة من النص المطبوع ، فكانت متوسطة الطول معتدلة، ومشتملة على مضامين قليلة، اقتصر فيها الكاتب على ما يحقق به الغرض.

ويرجع بعض الباحثين القول بأن شخصية المرسل إليه إضافة إلى موضوع الرسالة كانا وراء غلبة الإطناب على الرسائل الديوانية" لكونها تتضمن أوامر سلطانية موجهة إلى عامة الناس، أو رسائل توجه إلى الأمراء والولاة في كافة أعمال الدولة وتحمل مضامين رسمية لابد من قراءتها على عامة الناس للعمل بمضامينها، وذلك لأن العامة لا تشترك في فهم واحد، ولذا كان الإطناب ضرورة في المكاتبات

(١) القلقشندي، مصدر سابق، ٢٧٩/٨.
(٢) يقول:" وينبغي للكاتب أن ينتهي في خطاب من انتهى- يقصد الإحماد والإذمام- في الحالين إلى غايتيهما، إلى المعاني الناجعة في الغرضين، ويتوسط فيهما سيّما التوسط الذي يقتضيه الحال المفاض فيها". مصدر سابق، ٣٤٩/٨.

الديوانية"[1]. ومثل هذا القول لا يصدق على كل حال ، إذ قد تكون الرسالة موجهة إلى عامة الناس ومع ذلك تأتي مختصرة موجزة، كما هو الحال في رسالة البشارة بركوب أمير المؤمنين حيث جاءت في نحو صفحة وربع الصفحة من النص المطبوع، ولعل موضوع الرسالة لا يحتمل التوسع فيه، ولذا كانت المضامين قليلة جدا، كما جاء التعبير عنها مقتضبا ، إلى جانب أن الغاية من ورائها هو مجرد الإعلام فقط كما نص في خاتمتها.

وهكذا نجد أن العميدي قد حقق لرسائله نوعا من الوحدة الموضوعية على الرغم من تعدد مضامينها وأفكارها الجزئية مما ترتب عليه تفاوتها في الطول والقصر، وإن كان يميل في الغالب إلى الإطالة، الأمر الذي نتج عنه اكتمال أجزاء الرسالة، ووضوح معالم البناء الفني في الطويلة منها بشكل أكبر مقارنة بالرسائل القصيرة ، فضلا عن تعدد فقراتها وتنوع بنائها مما أكسبها قيمة أدبية عالية.

ولا شك أن جزء من الوحدة الموضوعية كان يعتمد فيه العميدي على توظيف الروابط المتعددة بين فقرات الرسالة الواحدة والتنويع فيها، مما حقق لها وحدة بنائية أو وحدة عضوية إن صحت التسمية ، مما سيتضح بيانه في المحور التالي.

•وحدة بناء الرسالة

حرص العميدي على وحدة بناء رسائله وخاصة تلك التي اتسمت بالطول وكثرت فيها المعاني والأفكار الفرعية، والفكرة الواحدة قد تؤدى في فقرة أو بضع فقرات، وهنا لابد للكاتب من إحكام بناء فقرات رسالته حتى يستطيع القارئ الانتقال من معنى إلى أخر بيسر وسهولة فلا يواجه انقطاع في الأفكار ولا تفكك في البناء، بل تنثال المعاني مترابطة متوالية يأخذ بعضها برقاب بعض، لذا يلجأ الكاتب إلى استخدام بعض الأساليب الفنية لربط أجزاء الرسالة الواحدة بعضها ببعض، وأساليب الربط هذه منها المعنوية ومنها اللفظية، ومن الأساليب المعنوية الاعتماد على

(١) النعيمات، محمد موسى، ابن الصيرفي كاتبا، مرجع سابق، ص٢٢١.

التسلسل الزمني في بناء الفقرة، ولعل هذا الأسلوب هو الأنسب في سرد الأحداث التاريخية" الحركة الزمانية هي الأسلوب الأمثل في بناء الفقرة التي تعرض حكاية حدث أو تسلسلا تاريخيا"(١). ومن الأمثلة على ذلك رسالته لحسان في التهديد والوعيد ، فمن مضامينها ذكر بعض مواقفه مع الدولة وما يحدثه من شغب منذ ظهوره في الشام كقوى مناوئة لها، وهذا المضمون يعرضه الكاتب في فقرات عدة مراعيا التسلسل الزمني لوقوع الأحداث ، فيذكر بداية ما كان منه في أيام الخليفة الحاكم من شق عصا الطاعة وكيف صدته الدولة بجيوشها، حتى لاذ بالفرار فأصبح طريدا شريدا مستجيرا ببعض العرب خشية القبض عليه، ثم تشفعه بوجوه الدولة وأعيانها في طلب المثول أمام الخليفة للاعتذار والتماس العفو والصفح، وما كان يتوقعه من تعنيف الخليفة له، غير أن ما حصل هو الإحسان إليه والإبقاء عليه، وليس ذلك فحسب بل إكرامه بالأموال والإقطاعات السنية(٢). ثم يسترسل في ذكر مواقف أخرى له في أخريات عهد الحاكم حين أغراه بعض المفسدين في الأرض بنكث العهد الذي قطعه على نفسه للخليفة والاستمرار في المخالفة بل التحالف عليها(٣). ثم يعقبه بموقف آخر له حينما آلت الخلافة إلى ابنه الظاهر لإعزاز دين الله وكيف كاتب الخليفة الجديد سائلا تجديد الاصطناع ومظهرا رغبته في المثول أمامه لتقديم فروض الطاعة والولاء، فما كان من الظاهر إلا الاستجابة لطلبه والمبالغة في إكرامه والترحيب به جريا على سنة والده من قبله(٤). وآخر المواقف التي يسترسل العميدي في ذكرها هو ما حصل منه في عهد الظاهر من تدمير مدينة الرملة حيث خرب ضياعها ونهب متاعها وهدم مساجدها وقتل رجالها

(١) الفريح، عثمان صالح، التحرير العربي، ط٥، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م)، ص١٠٨.
(٢) ينظر: العميدي، مصدر سابق ص٢٧٠-٢٧٣.
(٣) ينظر: المصدر السابق، ص٢٧٤-٢٧٥.
(٤) ينظر : المصدر السابق، ص٢٧٥-٢٧٧.

واستباح نساءها وجرائر كثيرة فعلها أتباعه تحت سمعه وبصره ، دون ردعا منه لهم وهو قائدهم الذي يأتمرون بأمره(١).

ولعل من نافلة القول إن هذا الأسلوب الذي يسلكه العميدي في الربط بين فقرات الرسالة يستدعي استخدام الكثير من الروابط اللفظية ، ولذا يلجأ إلى استعمال أشهرها ، وهي حروف العطف، وغني عن البيان كذلك أن الكاتب يعمد إلى توظيف هذه الحروف في التنقل بين الفقرات بما يقتضيه التسلسل الزمني لها من ترتيب الأحداث أو تعاقبها أو تراخيها، فيستخدم(الواو–الفاء–ثم)، وإن كان يغلب عليه استخدام (الواو) خاصة في العطف بين الجمل داخل الفقرة الواحدة، أو للربط بين فقرات الرسالة .

ومن أساليب الربط المعنوية كذلك التي يتكئ عليها العميدي للحفاظ على تماسك بناء رسالته التدرج المنطقي، حيث تأتي الأفكار مرتبة متسلسلة تفضي فيها المقدمات إلى نتائجها فيكون التنقل من معنى إلى آخر تنقلا ذهنيا سلسا، ومن أمثلة ذلك ما مر بنا قبل قليل في رسالة الفتح عند الحديث عن وحدة الموضوع، وكيف توالت معاني الرسالة بشكل متدرج منظم ، مما لا حاجة لتكراره هنا.

ولا يكتفي العميدي بالتسلسل الزمني أو التدرج المنطقي للمحافظة على تماسك النص ووحدته الموضوعية ، بل يضيف إليهما روابط لفظية أخرى كثيرة تسهم في ربط الفقرات التي تتشكل منها الرسالة، ومن أهمها حروف العطف، ومنها (الواو–الفاء–ثم–لكن–حتى)، وحرفا الاستئناف(الواو– والفاء)، وحرف التفصيل(أما) ، وأدوات الشرط غير الجازمة(لو –ولولا)، وغيرها من الأدوات التي يستعين بها الكاتب للربط بين الأفكار والفقرات، وإبراز رأي المرسل والتأثير على المرسل إليه، وقبل هذا وذاك تحسين صياغة الكلام. ومن نافلة القول أن الكاتب يتخير من الروابط اللفظية

(١) ينظر : المصدر السابق، ص٢٧٧-٢٧٨.

أو المعنوية ما ينسجم وموضوع الرسالة، وتسلسل مضامينها، وبما يكفل لها الوحدة الموضوعية والبنائية .

ج-الخاتمة

وكما اهتم النقاد بمقدمة الرسالة اهتموا كذلك بخاتمتها ، لذا أوجبوا على الكاتب إجادة خاتمة الرسالة وإتقانها حتى تكون قفلا لمحاسنها(١).

ولقد تفنن الكتاب في اختتام رسائلهم، فجاءت بأساليب مختلفة تبعا لموضوع الرسالة واختلاف شخصية المرسل إليه ومكانته ومنزلته، يقول القلقشندي:" واعلم أنه لم يكن لهم ضابط للاختتامات ولا يقتضي ملازمة اختتام معين لصدر معين بل ذلك موكول إلى رأي الكاتب لا يراعي فيه غير علو الرتبة وهبوطها "(٢).

وقد حظيت رسائل العميدي بخواتيم متنوعة، ومن ذلك الدعاء، الذي يعد من أكثر الأساليب شيوعا عند الكتاب ، ودائما ما يأتي حاملا معنى التوفيق والتوكل والإنابة، وقد يأتي متواليا في الرسالة الواحدة ، كما هو الحال في ختام رسالة الإحماد لأهل دمشق حيث أوضح لهم في نهايتها عزم أمير المؤمنين على إعمار بلادهم وإشاعة الأمن بها ، فيقول:" وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب"(٣).

ومن أساليب الختام ما يشيع -غالبا- في المكاتبات الرسمية لغير المسلمين سواء في البدء أو الختام، وهو عبارة (والسلام على من اتبع الهدى) (٤)، وقد ختم بها العميدي رسالته لحسان ، ولعل في استعماله لهذا الأسلوب ما يدل على تمكنه

(١) ينظر: الكلاعي، مصدر سابق، ص٢٥٤.
(٢) مصدر سابق، ١٤١/٨
(٣) العميدي، مصدر سابق، ص٣٧٣.
(٤) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٣٥٢/٦. والعميدي، مصدر سابق ، ص٢٨٣.

من استيعاب معطيات التراث العربي والإسلامي بل وتوظيفها بما يخدم مصالح الدولة وتوجهاتها في المقام الأول.

وقد تتفق بعض الرسائل في موضوعها ومع ذلك نجد تنوعا في خواتيمها، وذلك تبعا لاختلاف شخصية المرسل إليه، كما هو الحال في رسالته إلى ابن مرداس، فمع اتفاقها مع رسالته لحسان في الموضوع العام من التهديد والوعيد وتقاطعها معها في كثير من الأفكار والمضامين غير أن الكاتب يختم رسالته له بآية قرآنية تتفق وموضوع الرسالة ، وتشي بمعاني التهديد والوعيد اللذين أشاعهما في رسالته، يقول وقد عرض عليه – كما فعل مع حسان قبله– على لسان الخليفة خيارين لا ثالث لهما إما العودة والإنابة وإظهار التوبة وإما الإصرار على العناد وغواية الشيطان: " (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار)" [(١)]، ولعل من براعة العميدي هنا أنه على الرغم من اختلاف أسلوب الخاتمة في الرسالتين السابقتين(رسالة حسان ورسالة ابن مرداس) ، إلا أن خاتمتهما تحملان الدلالة ذاتها ، وهي وصفه لهما بالكفر الذي تعتقده الدولة في كل من يخالفها ، وعلى هذا يكون العميدي قد نوع في خاتمة رسالتيه رغم اتفاقهما في نوعية شخصية المرسل إليه وكذلك في موضوعها.

ومن أساليب الختام كذلك ما يتكون من عنصرين، وهما طلب الجواب من المرسل إليه، والاستثناء بمشيئة الله ؛ لما لهما من أهمية للمخاطب في تلقي الأمر أو تحديد المطلوب منه أو تقبل إرشاد ، والاستثناء بمشيئة الله مما يستحب للكاتب أن ينهي به رسالته من باب التبرك والرغبة في إنجاح المقصد[(٢)]، وعلى هذا الأسلوب يختم العميدي رسالته لابن مسلمة في البشارة بسلامة ركوب أمير

(١) سورة الرعد الآية(٤٢)، والعميدي، مصدر سابق ، ص٣٠٠.
(٢) ينظر: القلقشندي، مصدر سابق، ٢٢٣/٦.

المؤمنين فيقول:" وتذيع ما جرى في الخاصة والعامة إن شاء الله"[١]، وكذلك رسالة الفتح بقوله:" طالعته بذكر ما جرى، ليقف عليه ، ويسكن إليه، إن شاء الله"[٢].

وهكذا نجد أن العميدي على الرغم من قلة رسائله الديوانية غير أنه استطاع أن يوفر لخواتيمها إمكانيات متعددة ومتنوعة ، فجاءت الخاتمة متفاوتة في الطول والقصر، والعناصر التي تتكون منها، فضلا عن مناسبتها لموضوع الرسالة، ولشخصية المرسل إليه.

(١) العميدي، مصدر سابق ، ص١١٨.
(٢) العميدي، مصدر سابق ، ص٣٢٠.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين،،، أما بعد:

فلقد جاءت هذه الدراسة الموسومة ب(رسائل العميدي الديوانية موضوعاتها وبناؤها الفني) في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، ثم الخاتمة، ففهرس المصادر والمراجع.

أما التمهيد فقد جاء بعنوان (فن الرسائل حتى العصر الفاطمي) قدمت له بلمحة تاريخية عن فن الرسائل وقفت بها عند العصر الفاطمي، ثم جاء التمهيد في مطلبين ، وقفت في الأول منهما على ديوان الإنشاء الفاطمي معرفة به وبكتابه، أما المطلب الثاني عرفت من خلاله بالرسالة الديوانية مع بيان سبب العناية بها.

أما المبحث الأول فقد جاء بعنوان(العميدي ورسائله)، وجعلته في مطلبين، الأول ترجمت فيه للعميدي ترجمة وافية، وأما المطلب الثاني فعرفت فيه برسائل العميدي جملة مع التركيز على رسائله الديوانية مناط البحث مظهرة قيمتها الأدبية والتاريخية.

ويأتي المبحث الثاني مختصا بالدراسة الموضوعية لرسائل العميدي الديوانية، ولما كانت تلك الرسائل ترتبط بأحداث تاريخية سياسية قدمت بين يديها توطئة مختصرة بما يكشف الستار عن دواعي كتابتها، ثم جاءت الموضوعات مفصلة بما يكشف عن طبيعة مضامينها على ما تقتضيه رسومها وتقاليدها المرعية في الكتابة الديوانية، فكانت في التهديد والوعيد، الفتوحات، الإحماد ، والبشارات.

ثم تناولت في المبحث الثالث البناء الفني للرسالة الديوانية، عرضت فيه لأجزاء الرسالة الثلاثة من مقدمة وعرض وخاتمة عرفت خلالها بطبيعة كل جزء مبينة تقاليده ورسومه الفنية كما جاءت في مصنفات العلماء وغيرهم من أرباب النقد و

الصناعة، في سبيل إجادة الكاتب لصنعته ولا سيما كتاب الرسائل الديوانية، مطبقة كل ذلك على رسائل العميدي لمعرفة مدى حظه من الامتثال لها.

وقد خلص البحث –بفضل الله – إلى الكثير من النتائج، ومنها:

١- الرسائل الديوانية من أرقى أنواع الرسائل وأجلها خطرا، وأعظمها قدرا في رأي القدماء وقد أدت دورها الوظيفي في وقتها بكل اقتدار، إذ كانت أشبه بوزارة الإعلام في العصر الحديث.

٢- قدرة الرسائل الديوانية على استيعاب الموضوعات الرسمية للدولة، في كل شئون الحكم والإدارة والسياسة في الداخل والخارج، وفي حال السلم والحرب.

٣- العميدي بوصفه رئيس ديوان الإنشاء في الدولة الفاطمية كان الأقدر على الكتابة حول الأحداث السياسية التي وقعت بين دولة الخلافة الفاطمية والزعامات العربية المعارضة في بلاد الشام بحكم المشاهدة والمعاصرة.

٤- تجلية القيمة التاريخية لرسائل العميدي الديوانية، وذلك من خلال الوقوف على مضامينها، مما كشف عن جوانب كثيرة في حياة الدولة الفاطمية تتمثل في النواحي السياسية والاجتماعية والحضارية والمذهبية ، مما يعدها بحق وثيقة تاريخية هامة.

٥- قدرة العميدي وبراعته في التأليف مع طول نفس فيه كما ظهر في تنوع موضوعات رسائله وزخم مضامينها، فضلا عن توسعه في موضوعات جديدة مما اختصت به الديار المصرية في زمن الفاطميين.

استنباط جوانب جديدة في حياة العميدي مما لم تعرض له مصادر ترجمته قديما وحديثا ، وذلك من خلال الوقوف على رسائله واستكناه بعض دلالاتها.

٦- ظهور الصبغة المذهبية، حيث تأثر العميدي بعقائد الفاطميين، وإن لم يكن اعتقادا، بل أقل ما يقال فيه تمثيله لها وهو الكاتب الديواني.

٧- توفر العميدي على فنه الإنشائي بما أظهره من التزام برسوم الكتابة الديوانية سواء في المضامين المطروحة أو التقاليد الشكلية في بناء الرسالة، مما يؤكد على أن هذا الفن محكوم بأصول مرعية في الشكل والمضمون.

٨- محاولة الإسهام في إثراء مكتبة الأدب العربي في العصر الفاطمي في مصر بوصفه حلقة من حلقات سلسلة الأدب العربي من خلال التعريف بالعميدي ورسائله الديوانية.

وأخيرا، فأحسب أن هذه الدراسة قد أسهمت في الكشف عن علم من أعلام الكتابة الفنية الديوانية في مصر إبان العصر الفاطمي.

والحمد لله في الأولى والآخرة وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ ، تح/ عمر عبد السلام تدمري، ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م).

٢. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح/ أحمد الحوفي، بدوي طبانة، د.ط،(القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت).

٣. بدوي، أحمد أحمد، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، ط٢،(القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت).

٤. البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، د.ط، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٣م).

٥. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد قميحة، ط١،(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٣هـ=١٩٨٣م).

٦. الحباشنة، سمير عبد الوهاب: ديوان الإنشاء الفاطمي بمصر وجهوده الكتابيه، (رسالة دكتوارة منشورة)، جامعة مؤته، كلية الدراسات العليا،٢٠٠٧م).

٧. حسين، محمد كامل، في أدب مصر الإسلامية ، د.ط، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، د.ت).

٨. حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية ، ط١، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م).

٩. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، تح: إحسان عباس، معجم الأدباء، ط١،(بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ت١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

١٠. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، ط١٥، (بيروت: دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢م).

١١. سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي(الكتابة والكتاب)، د.ط، (الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ت).

١٢. سليم الباباني ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، د.ط،(بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٩٥١م).

١٣. سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، ط١،(بيروت-القاهرة: الدار المصرية اللبنانية،١٤١٣هـ=١٩٩٢م).

١٤. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، د.ط،(صيدا: المكتبة العصرية،د.ت).

١٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة تح/محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١،(مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م).

١٦. شهاب الدين الحلبي ، محمد بن سليمان، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تح/ أكرم عثمان، د.ط،(بغداد: دار الحرية، ١٩٨٠م.

١٧. الصفدي ،صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الوافي بالوفيات، د.ط،(بيروت: دار إحياء التراث ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

١٨. ابن الصيرفي، علي بن منجب، الإشارة إلى من نال الوزارة، تح:أيمن فؤاد سيد، ط١،(بيروت-القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م).

١٩. ابن الصيرفي،علي بن منجب، القانون في ديوان الرسائل، تح:أيمن فؤاد سيد،ط١،(بيروت-القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م).

٢٠. ضيف، شوقي، العصر الإسلامي، د.ط،٠مصر: دار المعارف، د.ت).

٢١. ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، ط١٦، (مصر: دار المعارف، د.ت).

٢٢. ضيف، شوقي، عصر الدول والإمارات(مصر)،ط٢، (القاهرة:دار المعارف،د.ت).

٢٣. ضيف، شوقي،الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط٩،(القاهرة: دار المعارف، د.ت).

٢٤. العبادي، أحمد مختار، د.ط، في التاريخ العباسي والفاطمي، د.ط، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت).

٢٥. عبد العال، محمد، في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص، ط١،(مصر: الشركة المصرية للنشر، ١٩٩٦م).

٢٦. عتيق، عبد العزيز، في النقد الأدبي، د.ط،(بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٢م).

٢٧. العميدي، أبو سعد محمد بن أحمد، رسائل العميدي، تح:إحسان ذنون الثامري، د.ط،(د.م: د.ن، د.ت).

٢٨. الفريح، عثمان صالح، التحرير العربي، ط٥، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م).

٢٩. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ط١، (بيروت:المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ).

٣٠. القلقشندى، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، د.ط، (بيروت:دار الكتب العلمية، د.ت).

٣١. الكاتب، علي بن خلف، مواد البيان، تح/ حاتم الضامن، ط١،(دمشق: دار البشائر، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م).

٣٢. الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور، إحكام صنعة الكلام، تح: محمد رضوان الداية، د.ط،(بيروت:دار الثقافة،١٩٦٦م).

٣٣. مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، د.ط، (بيروت: المكتبة العرية، د.ت).

٣٤. المقريزي، أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: محمد حلمي ،د.ط، (د.م: د.ن، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م).

٣٥. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله ، الصناعتين، تح/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط،(بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ).

٣٦. أبو اليسر، إبراهيم بن محمد الشيباني، الرسالة العذراء، تح/زكي مبارك،د.ط، (القاهرة: د.ن، ١٩٣١م).

٣٧. يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د.ط،(مصر: دار الكتب، د.ت).

- **الأطروحات والرسائل والأبحاث المنشورة**

٣٨. الأحمدي، خلود محمد، "الخطاب السياسي للدولة الفاطمية تجاه الزعامات المحلية الشامية المعارضة من خلال رسائل العميدي"، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج٩،ع٣، ٢٠١٦م.

٣٩. التكريتي، محمود ياسين، " الدور السياسي للقبائل العربية في الشام، آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع٧، ١٩٧٦م.

٤٠. توتو، يوسف محمد"الخصائص البنائية للرسائل الأدبية عند كتاب القرن الرابع"، مجلة جامعة السلام، ع٤، ٢٠١٧م.

٤١. راجح، دعاء محمد، "الرسائل الديوانية في العصر العباسي"، مجلة الأندلس، مج٤، ع١٥،جامعة حسيبة بن بوعلي،٢٠١٩م .

٤٢. العريفي، سعد عبد الرحمن،"صورة الرسالة الديوانية في المدونة التراثية"، جامعة القصيم،مجلة العلوم العربية والإنسانية، مج٧، ع٤، د.ت.

٤٣. العزم، عيسى محمود: بلاد الشام في العصر الفاطمي.(رسالة ماجستير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٢م).

٤٤. الفلاح، قحطان صالح"الترسل السياسي في العصر العباسي الأول"، مجلة جذور،مج١٠، العدد٢٣،النادي الأدبي الثقافي، جدة،٢٠٠٦م.

٤٥. النعيمات، محمد موسى: ابن الصيرفي كاتبا،(رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا،٢٠٠٦م).

٤٦. النعيمات، محمد موسى: الرسائل الفنية في مصر في العصر الفاطمي. (رسالة دكتوراه منشورة)،(الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا،٢٠١٤م).

٤٧. النعيمات، محمد موسى، " ديوان الإنشاء وأهميته في الكتابة في مصر في العصر الفاطمي" مجلة التربية، جامعة الأزهر، مج٤، ع١٦٤، ٢٠١٥م.